الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي - ميلة -

المعهد:الآداب واللغات

الميدان:الآداب واللغات

عنوان المذكرة:

شعرالمولديات عند محمد العيد آل خليفة

مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس نظام جديد
تخصص الأدب العربي

إعداد الطالبات:
1- إيمان ميهوب
2- نجاة بوناموس
3- زينب ذيب

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بورايو

السنة الجامعية: 2012/2011.

بسم الله الرحمن الرحيم
١٤٢٠

الدعاء

اللهم إننا نسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح

وخير العلم وخير العمل وخير الثواب

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار وسلم تسليما كثيرا

اللهم إننا نسألك خير المسألة وخير الدعاء وخير النجاح

وخير العلم وخير العمل وخير الثواب

اللهم لا تجعلنا نصاب بالغرور إذا نجحنا ولا باليأس إذا أخفقنا

وذكرنا أن الإخفاق هو التجربة التي تسبق النجاح

اللهم إذا أعطيتنا نجاحا فلا تأخذ تواضعنا وإذا أعطيتنا تواضعا فلا تأخذ اعتزازنا بكرامتنا.

صلى الله على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه الأخيار وسلم تسليما كثيرا

شكر وعرفان

قال أحمد شوقي:

قم للمعلم وفيه التبجيلا كاد المعلم أن يكون رسولا

من الواجب أن نتقدم بشكرنا الخالص إلى جميع أساتذتنا من المرحلة الإبتدائية إلى المرحلة الجامعية فنقول إلى من علمنا حرفا فصرنا له عبدا.

شكرا أساتذتنا على كل ما قدمتموه لنا من علم وجهد ونصائح وتوجيهات.

شكرا ونحن نعلم أن الشكر لن يوفيكم حقكم فالخدمة التي أسديتموها لنا كبيرة وكبيرة جدا إذ بفضلكم صرنا على ما نحن عليه اليوم إلى من مد لنا يده وأوصلنا إلى بر الأمان أستاذنا المشرف:

"عبد الحفيظ بورايو".

شكرا على توجيهاتك القيمة التي حاولنا جهدنا اتباعها.

خطة البحث

مقدمة.

مدخل.

الفصل الأول:

1- استجابة الشعراء لظاهرة الاحتفال بالمولد.

2- الموازنة بين قصيدة المديح النبوي والمدح.

من حيث:

الشكل.

الموسيقى.

المضمون.

الفصل الثاني:

1- التعريف بالشاعر.

2- الشعر الديني عند محمد العيد واهم موضوعاته.

3- المولديات في شعر محمد العيد.

الفصل الثالث:

1- الخصائص الفنية في شعر المولديات.

من حيث:

اللغة.

الصورة الشعرية

الموسيقى.

خاتمة.

مقدمـــــــــة

مقدمة:

إنه لمن الصعوبة على الطالب في بداية مشواره الدراسي أن يختار موضوعا بعينه ليكون بحثا لمذكرة تخرجه خاصة وإن الموضوعات الأدبية منحصرة بين القديم والحديث ومناقشته من قبل. وأما مذكرة تخرج أو رسالة ماجستير ما علينا نحن طلبة السنة الثالثة إلا تتبع مسيرة هذا وأخذ جزء منه للتحليل والمناقشة وبين الأخذ والرد والتفكير الطويل إرتأينا أن يكون الشعر موطن اختيارنا وليكون بصفة أدق وجدنا أنفسنا نحدده بشعر المولديات في الأدب الجزائري واتخذنا محمد العيد آل خليفة نموذجا ومن أجل ذلك فقد قسمناه إلى مدخل وثلاث فصول وخاتمة.

أما المدخل فكان كمفتاح عام للموضوع ذكرنا فيه العوامل المشجعة على ظهور المولديات ثم التطرق إلى أنّ الاحتفال بالمولد بدعة حسنة أتبعناه بمظاهر الاحتفال بالمولد النبوي ثم نماذج في الإحتفال بالمولد.

أما الفصل الأول فقد تناولنا فيه موضوع استجابة الشعراء لظاهرة المولد النبوي الشريف ثم ارتأينا أن نوازن بين القصيدة المدحية التي موضوعها الأساسي مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وهو موضوع شعر المولديات وغرض المدح الذي يختص بمدح الأشخاص إذ تناولناها من زاويتي الشكل والمضمون، أما الفصل الثاني فقد تحدثنا فيه عن محمد العيد آل خليفة فقد عرفنا به وببيئته ثم ذكرنا الشعر الديني عنده وأهم موضوعاته ثم المولديات في شعره.

أما الفصل الثالث فقد اشتمل على الخصائص الفنية للمولودية بدءا باللغة فالموسيقى فالصورة الشعرية.

وعرجنا في الأخير إلى الخاتمة وفيها حوصلة بحثنا هذا وقد اعتمدنا على مصادر ومراجع من أهمها ديوان محمد العيد آل خليفة ودراسات في الأدب المغربي القديم وديوان شهاب الدين ابن خلوف.

أما عن الصعوبات التي واجهناها فهي لم تفاجئنا بل نعتبرها جزءا من عملية البحث التي لولاها لما كنا استطعنا القيام بهذا العمل.

وفي الأخير نرجو أن نكون قد وفقنا ولو بالشيء القليل في تقديم صورة متكاملة حول هذه القضية وذلك مبتغانا وقصدنا والله من وراء القصد.

و لا يسعنا في الأخير إلا أن نتوجه بالشكر العميق والتقدير والاحترام للأستاذ **"عبد الحفيظ بورايو"** الذي يرجع له الفضل في بعث روح البحث.

مدخـــــــــل

مدخل:

مما لا شك فيه أن لكل ظاهرة بارزة الوجود مسببات وهذا ما يقال عن **شعر المولديات** الذي تضافرت عوامل عديدة أدت إلى ظهوره وتطوره، فالجدير بالذكر أن شعوب المغرب الإسلامي قد انتابها الشعور بالفتور والضعف أمام ضغوط النصارى خاصة بعد سقوط الأندلس واحتلال الموحدين إضافة إلى إحساس المسلمين في المغرب بتداخل قيمهم الخلقية والروحية مع معتقدات النصارى المجاورين لهم وبالتالي تسربت إليهم طقوس بعيدة عما يقره الدين الإسلامي.

"فهذا الشعور بالخيبة والتباعد الذي استفحل في النفوس الضعيفة خاصة وباعد بينها وبين قيمها الدينية كان لا بد له من قوة ضد تعارض هذا الداء وتساهم في تصفية تلك الشوائب التي علقت بأذهان المسلمين وتأخذ بأيديهم وتربطهم بشرعة دينهم وتهفو كيانهم وتقوي إيمانهم وتقف حجر عثرة أمام المؤشرات الخارجية وما من سبيل يعكس هذه الغاية النبيلة ويصور الرغبة في التمسك بالدين إلا إيقاض عواطف الشعراء الدينية وجعلهم يتوجهون إلى الشعر الديني كوسيلة انجح كفيلة بتحقيق المبتغى وهو رضى الموالي بالمحافظة على شعر يعيه في نفوس معتنقيها وهو كل الغنى، وهكذا برز إلى الوجود فن شعري جديد قائم بذاته قائم بذاته شكلا ومضمونا تبارز عليه الشعراء لنيل الحضوة لدى السلطان"[1]

فكان شعر المولديات أكثر الأغراض شيوعا وذيوعا حتى كان يعرف القرن 8هـ بعصر المولديات أو العيديات وهي قصائد دينية مخصوصة مناسبة معينة وهي الاحتفال بالمولد النبوي وشاع هذا الإحتفال في دول المغرب كلها وفي الأندلس.

وقد برزت عوامل عديدة لظهور شعر المولديات وكذلك الشأن بالنسبة لتطوره وسنرى من العوامل المساعدة على ظهوره.

"كما تكالبت عوامل عديدة في نشوء غرض المولديات فكذلك الشأن بالنسبة لتطوره وتأتي في مقدمة تلك العوامل ظهور مناسبة إحياء ذكرى مولد المصطفى صلى الله عليه وسلم والإحتفاء بها بما يليق بمقامه الكريم والتي سنها آل العزفي وسعوا في تطبيقها في أوائل القرن 7 هـ في مواجهة ما كان يقام من الأعياد الدينية وقد نبذ ملوك بني

---

[1] : زلاقي محمد: بناء القصيدة المولدية في المغرب العربي الإسلامي، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب القديم. لأشراف الاستاذ الدكتور الربعي بن سلامة ص 99.

مرين شعر المولديات في المغرب العربي الإسلامي في هذه السنة وسار على نهجهم ملوك الحفصيين وبنوزيان حتى صارت عيدا رسميا في الدويلات المغربية الثلاث وفتحت للأدباء والشعراء منهم وبالخصوص أبوابا من النشاط الأدبي إلى ذلك يشير مؤلف كتاب "الأدب المغربي" سجلت المناسبة قصائد رائعة ودواوين من الشعر بحالها ومن تتبع ما كان يقال فيها من الشعر الجميل فإنه يعمد العزفيين على خلق هذا الموسم الشريف وكذا الشأن الزيانيين أصحاب تلمسان وبني الأحمر أصحاب غرناطة"[1]

ولهذا فإن ما يلاحظ على شعر المولديات أنهم يحرصون دائما على التنويه بتلك الليلة وتمجيدها والأمثلة على هذا كثيرة كثرة القصائد المولودية وهذا ما نلمسه في قول عبد الله محمد بن يوسف القيسي الأندلسي الموجه إلى السلطان أبي حمو الثاني في مولد عام 1768م.

أشهر ربيع حزت كل فضيلة ويا ليلة الإثنين فقت الليالي

ويا مولد المختار أوفيت زائرا فلله ما أنسى الحبيب الموافيا[2]

ويضاف إلى هذا العامل عامل آخر تمثل في تعلق المغاربة الشديد بدينهم هذا الغرض المستحدث والذي خلق جوا من التنافس بين شعراء البلاط المقربين ومحاولة كل منهم الفوز بفضل السبق مما شجع أكثر على الشيوع فن المولديات وتطوره لا سيما إذا علمنا أن صاحب البلاط هو الداعي غليها والمشرف على إحيائها وهو "أبو حمو موسى الثاني" فقد كان في مدة حكمه يقيم كل سنة احتفال بهذا الخصوص.

لقد بدأ المسلم يشعر بارتباك في عقيدته وذلك نتيجة تدهور الأوضاع السياسية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، فما كان عليه سوى مراجعة حساباته مع نفسه ومع خالقه وكان للعوامل السياسية أثر على إرساء مثل هذه الظاهرة، وكما لا يخفى أن المشرق العربي الإسلامي على أعقاب انهيار صرح الخلافة العباشية اندلعت فيه نار التطاحن، وكان التهديم القرار النهائي في ترتيب حدود الخارطة الإسلامية غذ لم يشعر المسلمون وهم يجابهون مفاجآت القرن السادس الهجري إلا أشلاء الجسد الإسلامي الممد وهو يتمزق بين ناهشيه من مختلف المشارب والاتجاهات، ونتيجة لهذا الوضع أصبحت النفس بحاجة ماسة ذاتيتها وتنبيه الفروع اللاهية بتروات عارضة، ومن هنا كان الإلحاح في طلب العودة إلى أصل الينبوع.

---

[1] : محمد الصادق. عفيفي توات في الأدب المغربي، ص 192، د ط، د ت.

[2] : ابن عمار: رحلة ابن عمار، (ص ص 137- 140)، د ط. د ت.

"أما المغرب الإسلامي فلم يكن أسعد حال من المشرق فإن كانت الفرقة هي معول الهدم لركن الخلافة من المشرق فإن الأطماع والخزازات الهامشية كانت بداية الطائفية والشوفنية الضيقية في ربوع مزاد علني بين المتنافسين فتات ما تبقى من مجد لحضارة وخلافة آفلة.

ففي هذا الجو المأساوي كان على المصلحين أن لا يتقاء سوا متذرعين بالمنابر الصامتة ومكتفين بالخطب والمواعظ الجوفاء، فأزمان الجهاد الحقيق قد ولت، وطلائع الاسترداد النصراني سيتفحل سلطانها كل يوم، وانتهاشها للحم الخلافة كل يوم يزداد أكثر فكان بهذا التصدع في البناء الحضاري والروحي أثر فعال على نفوس أفراد الأمة الإسلامية"[1]

وقد تكون من الأسباب والعوامل المدعمة والتي كانت فعالا في ظهور هذه "البدعة المحمودة" الإهتمامات المختلفة من قبل الملوك والسلاطين عاملا محفزا على هذا فقد كان هاجس الإلتفات إلى الإحتفاء بالمولد النبوي كما تذكر بعض المراجع قد جرى على غير العادة و لم تكن مألوفة من قبل، حيث أن أبا السعد كوكبورلي بن علي بن باتيكين الملك المعظم صاحب أربيل في العراق المتوفي سنة (586هـ-1190م) هو الذي عظم الاحتفال بالمولد النبوي.

وقد طرح بعض المصلحين الأتقياء من المسلمين قضايا وأهمها قضية المولد النبوي الشريف حتى ينتصر الوضوح على التشكك، وتعود المياه غلى مجاريها وتعرف حدود الدين والأعداد في ظروف تستدعي التعجيل بطرح هذه القضايا الحاسمة وإلا تسرب ما يمكن اعتباره الإخلال بعمود الدين القديم.

"أجمعت معظم المصادر الموثوق بصحتها على أن أسرة آل العزفي الحاكمين لمقاطعة سبتة المستقلة هو من يرجع لهم فضل التشريع والتنظير للاحتفال بالمولد النبوي الشريف وذلك دون سابق عهد في المغرب الإسلامي ولقيت سنتهم الحميدة من الرواج والارتياح ما مكن لها في الأرض الإسلامية أشد التمكين إلى يومنا هذا"[2]

وقد كانت الظروف في المغرب والأندلس آنذاك لا تستدعي بإلحاح ظهور مثل هذا الحدث (المولد النبوي) وخاصة بعد هزيمة الموحدين الكبرى في موقعة العقاب (612هـ-1212م) وتمادي حروب الإسترداد الصليبية

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، ط1 (قسنطينة) الجزائر، دار البعث للطباعة والنشر، 1406 هـ- 1986 م، (ص،ص 214-215).

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه. ط1 قسنطينة (الجزائر) دار البعث للطباعة والنشر (1406هـ-1986م)، ص 221.

وإصرارها أكثر من أي وقت مضت على رمي الإسلام وراء بحر الزقاق بل مطاردته إلى موطنه الأصلي بصحراء العرب.

وكان بعض المتعرضين عليها قد عدوها من قبيل الابتداع إلا أن الإجماع اصطلح عليها على أنها من البدع المحمودة والتي تعتبر من جلائل وعظائم المحامد التي تدني العبد من خالقه ومن شفيعه وتفرج من كرباته وتسمح له بمرافعة نفسه.

"أنها من أجل المواعظ التي يمكن للمسلم الحقيقي أن بها لما تحمله في كيانها من مد روحي يعود بهذه الأمة إلى الوقوف على رسوم صلاح أولها"[1]

ولابد من عرض بعض الآراء التي تؤكد أن هذه البدعة محمودة (حسنة) أي ضرورة معرفة حقيقة الإحتفال بالمولد النبوي الشريف فهي تعد من المشاكل التي كثر فيها الأخذ والرد واحتدم فيها الجدل بين المستغلين بإصلاح المجتمع خاصة الاحتفال بذكرى المولد النبوي على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، فنكاد نسمع في كل ذكرى كلاما متعارضا، يغالي بعضهم فيشدد النكير على من يجيز الإحتفال، ويصفه بالمبتدع في الدين، أو يتهمه بالتساهل بل الفسوق والعصيان، ويجنح آخرون إلى النقيض من ذلك فيقيمون الإحتفالات بمناسبة المولد ويعقدون السهرات ويتناولون أنواعا من المأكولات، ويقدمون الشموع وغيرها.

فما علينا سوى التحقيق في معنى البدعة وهل كل بدعة مذمومة؟

"فالبدعة لغة وشرعا: كلمة بدعة في أصلها اللغوي هي الشيء المخترع والذي يحدث من غير أصل سابق، ولا مثال محتذى، ولا ألف الناس أو عرفوا مثله، ومنه قولهم: أبدع الله الخلق أي خلقهم ابتداء، ومنه قوله تعالى: "بَدِيعُ السموات والأرض"[2] وقوله تعالى: "قل ما كنتُ بدْعا من الرُّسلِ"[3] ، أي لم أكن أول رسول إلى أهل الأرض، وهذا الإسم (أي الإبتداع) يدخل فيما تخترعه القلوب، وفيما تنطق به الألسنة، وفيها تفعله الجوارح، فهناك البدعة الإعتقادية، والبدعة القولية، والبدعة الفعلية، كما أن البدعة لغة تُقَال في المدح والذم، قال الجوهري: (البديع، المبتدع، والبدعة الحدث في الدين بعد الإكمال)، وقال الفيومي في المصباح المنير: (أبدع الله تعالى الخلق إبداعا خلقهم لا على مثال، أبدعت الشيء وابتدعته استخرجته وأحدثته، ومنه قيل للحال المخالفة (بدعة).

---

[1] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 221.

[2] : سورة البقرة (115).

[3] : الأحقاف (9).

وأما معنى البدعة شرعا، فهي ما عرَّفها بعض العلماء، كالراغب الأصفهاني مفردات القرآن حيث قال: (هي إيراد قول لم يستن قائلها وفاعلها (الضمير يعود على البدعة) فيه بصاحب الشريعة)، وقال ابن الأثير" في النهاية: البدعة بدعتان، بدعة هوى، وبدعة ضلال، فما كان خلاف ما أمر الله به ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز الذم والإنكار، وما كان واقعا تحت عموم ما ندب الله إليه، وحض عليه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو في حيز المدح، وما لم يكن له مثال موجود، كنوع من الجود والسخاء وفعل المعروف، فهو في الأفعال المحمودة"[1]

صار الإحتفال بالمولد النبوي الشريف عادة عامة بالرغم من الإختلاف في كونها بدعة حسنة أو بدعة محمودة.

"كما سيأتي والمشهور أن المحدث بها هو "أبو سعيد كوكبوري ابن الحسن علي بن بكتكيني التركماني" الحسين الملقب الملك المعظم مضفر الدين صاحب أربيل أحدثها في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع، فإن السلطة صلاح الدين ولاء على أربيل في ذي الحجة سنة 576هـ وتوفي سنة 630هـ وقد كان سخيا صاحب خيرات كثيرة وكان ينفق على الإحتفال بالمولد الوفا كثيرة، ومن العجيب أن بن الحاج المالكي في كتابه المدخل "عقد فصلا لما أحدثه الناس من البدع مع اعتقادهم أن ذلك من أكبر العبادات وإظهار الشعائر، ما يفعلونه في شهر ربيع الأول من المولد"[2]

فهذا الإحتفال بالمولد من البدع فقد عرف بعضهم باستعمال المغاني وآلات الطرب وغير ذلك ولكن أكيد أنه يوجد من يحيي هذه الذكرى بصورة أخرى "ومن ذلك قراءة القرآن من الشبان الحسن الصور على شكل الغناء وإقامة مجالس الذكر والإنشاء، فيتواجدون ويرقصون ويتعانقون، ومن ذلك اقتداء النِّساء بالرجال في الاحتفال بالمولد، فتقع فيه مفاسد عديدة ولو أن بن الحاج حرَّم الاحتفال بالمولد، لأجل ما يقع فيه، لإلتمسنا له بعض العذر ولكنه يعيب الاحتفال به عيبا ذاتيا، ولروعيت فيه الآداب الإسلامية، يقول: وهذه المفاسد مركبة على فعل المولد إذا عمل بالسماع، فإن خلى منه وعمل طعاما فقط ونوى به المولد و دعى إليه الإخوان وسلم من ما تقدم ذكره فهو بدعة وبنفس نيته فقط إذا نوى ذلك زيادة في الدين وليس من عمل السالف الصالح وإتباع السلف أولى، بل أوجب من أن

---

[1] : محمد بن زعيمة: رسالة المسجد، السنة السادسة- العدد الثالث- ربيع الأول 1429هـ/ مارس 2008م، ص 31.

[2] : ذكرى المولد النبوي، خلاصة السيرة النبوية وحقيقة الدعوة الإسلامية وكليات الدين، حكم وتأليف السيد محمد رشيد، رضا منشئ مجلة المنار. وناظر الدعوة والإرشاد، نشرت في المجلة 19 من مجلة المنار، ط1، 1335 قمرية الموافق لـ 1295 هـ بمصر.

يزيد نية مخالفة لما كانوا عليه أشد الناس إتباعا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولهم قدم سبق في المبادرة إلى ذلك، و لم ينقل من أحد منهم أنه نوى المولد ونحن لهم تبع فسعينا سعيهم"[1]

هنا يرى بن الحاج المالكي أن هذا الشهر الكريم والحلة هذه- كيف يلعبون فيه ويرقصون ولا يبكون ولا يحزنون ولو فعلوا ذلك لكان أقرب إلى الحال، لأجل اقتراف الذنوب والحزن والبكاء من أجل فقد النبي صلى الله عليه وسلم وكان ذلك مذهبا للذنوب وما حيا لأثرها، مع أنهم لو فعلوا ذلك والتزموه لكان أيضا بدعة، وإن كان الحزن عليه صلى الله عليه وسلم واجبا على كل مسلم.

"يقول بن الحاج: لو قال قائل أنا أعمل المولد للفرح والسرور لولادته صلى الله عليه وسلم أعمل يوما آخر للمأتم والحزن والبكاء عليه فالجواب: أنه قد تقدم أن من عمل طعاما بنية المولد ليس إلا، وجمع له الإخوان فإن ذلك بدعة هذا وهو فعله واحد ظاهر البر، والتقرب ليس إلا، فكيف بهذا الذي جمع بدعا جملة مرة واحدة فكيف إذ كرر ذلك مرتين: مرة للفرح ومرة للحزن فتزيد البدع ويكثر اللوم عليه من جهة الشرع"[2].

ففي رأيه أن البعض يتورع عن فعل المولد بالمغاني المتقدم ذكرها، ويعض عن ذلك القراء والفقراء الذين يذكرون مجتمعين برفع الأصوات. كما في العادة الفقراء في هذا الزمان وكذلك القراء، وقد تقدم الدليل على منع ذلك في غير المولد، فكيف به هنا؟ فمن باب أخرى المنع منه ثم يخلص من هذا الخلط العجيب إلى هذه الموازنة التي هي أعجب.

"فيقول: ألا ترى أن الصلاة من أعظم القرب إلى الله تعالى، مع ذلك فلو فعلها إنسان في غير هذا الوقت المشروع، لكان مذموما مخالفا، وإذا كانت الصلاة بهذه المثابة فما بالك بغيرها؟"[3]

وخلاصة مذهب بن الحاج أن الاحتفال بنية المولد بدعة لا تجوز، سواء أرعينا الآداب الشرعية أم لا وكأنه لا يفرق بين البدعة الحسنة والذميمة.

ولو أخذنا برأي الحاج هذا: في أن كل ما فعله المسلمون بعد موت الرسول صلى الله عليه و لم يكن فعله هو، يعد بدعة لا تجوز، لحمّدنا الإسلام فوضعناه في قمم ولكان استخلاف أبي بكر لعمر بدعة لأن الرسول لم يستخلف،

---

[1] : علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، عميد كلية دار العلوم سابقا 1406هـ-1985م، ص 129.

[2] : المرجع نفسه، ص 129.

[3] : المرجع نفسه، ص 130.

ولكان جمع المصحف بدعة من أكبر البدع ولكان ما تمت به الحضارات المتعاقبة مما ينفع مما ينفع الناس إلى الحد من البدع السيئة....نعوذ بالله من عمى القلوب، ومن الغريب أن هذا الرجل المتزمت إلى هذا الحد يورد في خلق آدم وخلق الرسول. عليهما الصلاة والسلام –أحاديث أسطورة كان أولى بمثله- على تشدده البالغ –أن ينكرها.

ولعله من المصادفة غير السارة أن "مالكيا" آخر هو الشيخ تاج الدين بن علي اللخمي السكندري المشهور بالفاكهاني، من متأخري المالكية، وزعم "مطية الكلب" كما يقولون: أن عمل المولد بدعة مذمومة ولو يكتف بهذه البدعة الباطلة التي قال في مثلها الشاعر:

والدعاوي ما لم تقيموا عليها بينات أصحابها أدعياء[1]

حتى راح يسندها بكتاب ألفه في ذلك أسماه "المورد الكلام على المولد" كأننا فرغنا من كل شؤون الدين مما يهم الناس وفرغنا من تصفية التفاسير والأحاديث مما شابهها من الأساطير وغيرها والوضع التي أصبحت عماد المشرعين في الطعن على بنية الكريم حتى نتكلف التأليف فيما يضر ولا ينفع.

يقول الإمام بن عباد: "وأما المولد فالذي يظهر لي أنه من أعياد المسلمين وموسم من مواسيمهم، وكل ما يفعل فيه مما يقتضيه وجود الفرح والسر بذلك المولد المبارك من إيقاد الشمع وإمتاع البصر والسمع والتزيين بلبس فاخر الثياب، وركوب قارة الدواب، أمر مباح لا ينكر على أحد قياسا على غيره من أوقات الفرح.

ويقول العلامة: "فتح الله البناتي "في كتابه: "فتح الله في مولد خير خلق الله صلى الله عليه وسلم" أن أحسن ما ابتدع في زماننا هذا –كما قال الإمام أبو شامة وغيره- ما يفعل كل عام في اليوم الذي يوافق مولده صلى الله عليه وسلم من الصدقات والمعروف وإظهار الزينة والسرور فإن ذلك. مع ما فيه من إحسان إلى الفقراء. مشعر بمحبة الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أرسله رحمة للعالمين"[2]

وسنرى كذلك قول رأي الشيخ إسلام الحافظ بن الحجر على أصل الأعمال التي تقام في المولد النبوي الشريف.

---

[1] : علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، عميد كلية دار العلوم سابقا 1406هـ-1985م، ص 130.

[2] : المرجع نفسه، ص 131.

"وقد سئل شيخ الإسلام الحافظ أبو الفضل بن حجر عن عمل المولد، فأجاب بما خصه: أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثالثة، ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدها، فمن تحرى في عملها المحاسن، وتجنب ضدها كان بدعة حسنة ثم أقام –رحمه الله– الدليل على أن ذلك عمل مشروع فقال وقد ظهر لي تخريج ذلك على أصل ثابت، وهو ما ثبت في الصحيحين: من أن النبي صلى الله عليه وسلم قدم المدينة فوجد اليهود يصومون يوم "عاشوراء" فسألهم فقالوا: هو يوم أغرق الله فيه فرعون ونجى موسى، ونحن نصومه شكرا لله تعالى قال: فسيستفاد من ذلك، فعل الشكر على ما منَّ به في يوم معين من إسداء نعمة ودفع نقمة أو يعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كل سنة، ثم قال: والشكر لله يحصل بأنواع من العبادة، كالسجود والصوم والصدقة والتلاوة فله الشكر أما من تجنب ضدها كان بدعة حسنة.

"ويقول السيوطي: وقد ظهر لي تخرجه على أصل أخر، وهو ما أخرجه البيهقي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم عق عن نفسه بعد النبوة مع أنه قد ورد أن جده عبد المطلب عق عنه في سابع ولادته، والعقيقة لا تعاد مرة ثانية، فيحمل ذلك على أن الذي فعله النبي صلى الله عليه وسلم إظهار للشكر على إيجاد الله وإياه للعالمين وتشريع لأمته، كما كان يصلي على نفسه لذلك فيحسب لنا أيضا إظهار الشكر بمولده الإجتماع، وإطعام الطعام، ونعد ذلك من وجود القربات، وإظهار المسرات.

فلا خلاف إذن بين الأئمة والأعلام: أن الإحتفال بالمولد من البدع الحسنة ولا عبرة بما يحدث في هذا الإحتفال من ألوان اللهو والعبث الذي يقع في بعض الناس فهو شيء خارج عن الأصل ولا يخلو منه عيد ولا موسم"[1].

وهكذا نرى أن إجماع الأئمة الأعلام على أن الإحتفال بالمولد النبوي بدعة حسنة لما له من بركة "يقول الشافعي في بركة الإحتفال بالمولد: من جمع لمولد النبي صلى الله عليه وسلم إخوانا وهيأ لهم مكانا وعمل إحسانا، وصار سببا لقراءته بعثه الله يوم القيامة مع الصدقين والشهداء والصالحين ويكون في جنات النعيم"[2].

وإذا ما تحدثنا عن الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب العربي فلم يكن سلاطين المغرب يحتفلون بالمولد الشريف: حتى جاء السلطان الشيخ أبو العباس أحمد المنصور العزفي صاحب "سبتة"، فتبعه في ذلك ملوك القطرين: الأندلسي والمغربي فاحتفلوا به وعنوا ذلك كل العناية.

وقد كانت طريقة الاحتفال تختلف فلكل طريقته في الاحتفال كما يظهر لنا هذا القول.

---

[1] : على الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، عميد كلية دار العلوم سابقا 1406هـ-1985م، ص 132.

[2] : المرجع نفسه، ص 134.

"فإذا كانت ليلة المولد النبوي، تهيأ لحملها وزفاف كواعبها الحاملون المترفون لحمل خدود العرائس عند الزفاف فيتزينون في أجمل شارة، وأحسن منظر ويجتمع الناس من أطراف المدينة لرؤيتها فيمكثون حتى يسكن حر الظهيرة... وتجنح الشمس للغروب فيخرجون بها على رؤوسهم كالعذاري، يرفلن في حللن وهي عدد كثير كالنحل، فيتسلق الناس لرؤيتهم،...، وتتبع ذات الطول والأبواق والمعازف والملاهي حتى تستولي على منصات معدات لها بالألوان الشريف فتصطف هناك، فإن طلع الفجر خرج السلطان فصلى بالناس وقعد على أريكته وعليه حلة البياض شعار الدولة وإمامة تلك الشموع المختلفة الألوان، .... ثم يدخل الناس أفواجا على طبقاتهم فإذا استقرهم الجلوس تقدم الواعظ فسرد جملة من فضائل النبي صلى الله عليه وسلم ومعجزاته وذكرى مولده وإرضاعه... فإذا فرغوا تقدم أهل الذكر المزمزمون لكلام الششتري، وكلام غيره من الصوفية، ويتخلل ذلك نوبه المنشدين للبيتين فإذا فرغوا من ذلك كله قام الشعراء، فيتقدم قاضي الجماعة بلبل منابر الجمع والأعياد "قاسم بن علي الشاطبي" فينشد قصيدة يستفتحها بالغزل والنسب ثم يتخلص لمدح النبي صلى الله عليه وسلم ثم يختم بمدح الحضور وإعلاء له ولولي عهده"[1].

"وذكر صاحب المكية، أنه حضر المولد الشريف في بلاد المغرب بعد قفوله من بلاد الترك فقال: استدعى المنصور الناس واستدخلهم لقصره البديع المحتوي على قباب عالية، وقد مهدت فيه فرش الحرير، وضعت النمارق..."[2].

فهذه مختلف النماذج عن الاحتفالات التي كان يقيمها السلاطين بمناسبة المولد النبوي الشريف فمن خلال ما وصفه الباحثون مكننا من معرفة ولو القليل عن طريقة احتفالهم به.

لكن سنرد نموذج عن هذا الإحتفال بالمولد النبوي الشريف فقد كان سلاطين آل زيان أصحاب هذه المملكة يحتفلون بالمولد الشريف احتفالا فوق الغاية، حتى إذا جاء السلطان "أبو حمو بن يوسف الزياني" التي في ذلك بما أعيا الوصف، وفات الخيال، وفاق السابق، وأعجز للاحق، وأصبح أعجوبة من الأعاجيب على تعاقب الدهور.

"كان هذا السلطان يقيم في هذه الليلة "مدعاة حفلية" يمكن أن توصف بلغة العصر أنها "مأدبة اشتراكية" جامعة، يدعى إليها الناس "الجفلي" فيحشرون فيها على اختلاف طبقاتهم، من غني وفقير وخاص وعام، وأمير وسوقي، وإن كان جلوسهم على مراثيهم كلما تقضيه ذلك الرسوم الجارية، كما كان يحشد في المدعاة كل نفيس

---

[1] : علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، عميد كلية دار العلوم سابقا 1046هـ-1985م، ص 141.

[2] : المرجع نفسه، ص 143.

وثمين من أدوات الزينة، وآلات الترف التي يضفها القاضي عياض بقوله: فما شئت بزرابي مبثوثة ونمارق مصفوفة، وبسط موشاه ووسائد بالذهب مغشاه، وشمع كالأسطوانات والموائد كالهالات ومباخر من الصفر، منصوبة كالقباب، يخالها البصر من نبر مذاب ويطوف عليهم ولدان قد لبسوا أقبية الخز الملون، وبأيديهم مباخر ومرشات ينال الجميع حظهم منها"[1].

هكذا ومن خلال هذه القصة تتجلى مظاهر الاحتفال بالمولد النبوي والعناية الكبيرة من قبل السلاطين الذين كانوا يقدمون إمكانيات ضخمة في سبيل قيام هذه الليلة والاحتفال الحسن بها.

"وجاء في نظم الدور والعفيان تتمة بما تقدم وبالقرب من السلطان خزينة المنجاة وهي آلهة الوقت قد زخرفت كأنها حلة يمانية، ذات تماثيل من اللجين محكمة الصنع، بأعلامها أيكة تحمل طائر له فرخان، منهما تحت جناحية، وفي جدر الأيكة كوة مستطيلة، يطل منها أرقم صناعي يحاول ختل الطائر وبصدر "المناجاة" أبواب مغلقة علو عدد ساعات الليل الزمانية يواجه طرفيها بابان كبيران وفوق جميع الأبواب وتحت رأس الخزانة بمسافة قريبة صورة قمر صناعي في ليلة التمام، يسير على خط استواء، يشبه سير نظيره من الفلك السماوي وقد قدر له في سره أن سيامت في أول كل ساعة زمانية بابا من الأبواب المغلقة، فإذا حدث هذا نقض البابين الكبيرين عقابان يوم واحد كل منهما "صنجة" من الصفر يلقي بها في طست من الصفر مجوف في وسطه ثقب يفضي بالصنجة إلى داخل الخزانة، فتحدث رنينا مسموعا فلا يلبث الأرقام أن يثبت علو أحد فرخي الطائر السالف الذكر وينهشه، فيعلوا في الجو صفير أبويه، ويكون هذا الصفير إيذانا بأن ساعة زمانية من ساعات الليل التي انقضت فيفتح بابها الموسم برقمها تطلع منه جارية "دمية" خلق الحسن على صورتها، منظومة بالشعر الرائق فتضعها بلطف وتؤدة بين يدي السلطان وقد وضعت يدها اليسرى على فهمها كالمؤدية "بالمبايعة حق الخلافة، على حين يمزج المغنون بأمداح سيد المرسلين وخاتم النبيين "صلوات الله وسلامه عليه" ويهتفون بمقاطع شاجية، راجين بها من الله سبحانه وتعالى تكفير الذنوب وغفر السيئات داعين فيها الناس إلى ترك المعاصي والآثام يخرجون فيها من فرق إلى فرق ومن أسلوب إلى أسلوب ويجيئون في ذلك بما يرق القلوب ويسيل المدامع ويدفع إلى التوبة النصوح حتى إذا كان آخر الليل صفت الموائد الحافلة بصحاف الألوان مما تشتهيه الأنفس وتلذه الأعين ويشره إليه الشبعان والعرثان، كل ذلك يحدث على مرأى ومسمع من السلطان الذي يظل ملازما مجلسه ابتداء الجلوس فيه، لا يفارقه حتى يؤدي صلاة الصبح"[2].

---

[1] : علي الجندي: المرجع نفسه، ص 144.

[2] : علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، عميد كلية دار العلوم سابقا 1406هـ-1985م، ص 144.

وعلى هذا النمط جرى الاحتفال بليلة المولد المبارك هذه سنة دولته، وما من ليلة منها إلا نظم السلطان قصيدة في مدح الحضرة النبوية، يبتدئ بها المنشد بهذا الحفل التقليدي العظيم ثم يتلوه إنشاد من رفعوا إلى السلطان قائد شعرية بمناسبة هذه الليلة الغراء، وقد أورد "المقري" جملة من المقطوعات التي أنشأها الكاتب أبو زكرياء يحيى بن خلدون "كاتب السلطان" أبي حمو"على لسان جارية المنجاة التي مر ذكرها مخاطبة بما مر من الليل.

وكانت الجارية التي تأتي بها في يدها اليمنى كما ذكرنا فمن ذلك قوله في مضي ساعتين من الليل:

أخليفة الرحمان والملك الذي تعنو لعز علاه أملاك البشر
لله مجلسك الذي يحكي مالا لك مالكي أفق السماء لمن نظر
والليل منه ساعتان قد انقضت تثني عليك ثنا الرياض على المفر[1]

[1] : المرجع نفسه، ص 145.

الفصل الأول

1- استجابة الشعراء لظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف.

2- الموازنة بين قصيدة المديح النبوي والمدح.

من حيث:

- ❖ الشكل.
- ❖ الموسيقى.
- ❖ المضمون.

1-استجابة الشعراء لظاهرة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف:

يبدو أن استجابة الشعراء لظاهرة المولد النبوي، كانت تطرح العديد من التساؤلات حول هذه الظاهرة هل هي استجابة لدعوة المشرعين؟ أم كانت سابقة لعهد التنظير؟.

لقد كان من الطبيعي أن تنعكس ظاهرة المولد النبوي الشريف على الشعر لما تحمله من أهمية بالغة، فاستجاب لها الشعراء وحرصوا على تسجيلها في أشعارهم وتجاوبوا مع هذه الذكرى حيث كانت مشاركتهم فيها واسعة النطاق، يدل ذلك رصيدهم الهائل في هذا الفن الشعري الجديد.

"وقبل تفصيل الحديث عن هذا الغرض الشعري القائم يجدر بنا أن نسير خطوات ثابتة إلى الوراء للكشف عن أولويات الشعر المولدي والتي تحمل في طياتها العديد من التساؤلات حول ما إذا كانت محاولة الشعراء في قصائدهم المولودية استجابة لدعوة المشرعين لهذا الموسم الديني أم كانت سابقة لعهد التنظير. إن ما جاء في كتاب "تذكره المحبين في شرح أسماء سيد المرسلين للشيخ "أبي عبد الله الرصاع" المتوفي عام 894 هـ والذي أشار إليها بن عمار في رحلة يقود إلى نتيجة مفادها، أن الشعر أسبق في الاهتمام بمراسيم المولد النبوي الشريف فمما جاء فيه: "ومن أحسن ما قيل في ذلك اليوم العظيم ويدخر ثوابه عنه نبي الله الكريم أبيات الشقراطيسي في مدح خير البرية صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم..." وهي من القصائد العظام البديعة النظام، الرائعة المعاني، الوثيقة المباني، وهي من الطراز الأول وعليها في هذا الباب المعول مطلعها:

الحمد لله باعث الرسل هدى بأحمد منا احمد السبل
خير البرية من بدو ومن حضر وأكرم الخلق م جاف ومنتحل[1]

لقد تركت قصيدة الشقراسيطي من البصمات على كل المولديات التي جاءت من بعدها، ما يمكن قياسه بمدى مفعول القصيدة الجاهلية المتمثلة في نماذجها الكاملة في المعلقات على كل الشعر العربي الذي أعقبها، لأنها وبشاهدة المعارضين والمجارين لها قد سدت أمامهم أبواب الإبداع، ورسمت لهم نهجا كاد يكون فاصلا في بناء القصيدة المولدية شكلا ومضمونا، وقد أشعرتم بتضييق الخناق مما دفعت بهم إلى العودة إلى كتب السير والمغازي والأقاصيص الشعبية،

---

[1] : ابن عمار: رحلة ابن عمار الجزائري، ص 116-117، د ط، د ت.

والأحاديث النبوية الصحيح منها والموضوع علها تسعفهم على تجاوز ما سطره الشقراطيسي الذي يبدو من خلال محتوى قصيدته.

"ولنستمع إلى كل من الشقراطيسي وهو يعدد معجزات الرسول صلى الله عليه وسلم التي به أضفت عليه آيات بينات جعلته يعرف منعرجا تاريخيا لم تعرف الأمة العربية في سابق أمجادها:

ضاءت بمولده الآفاق واتصلت بشرى الهواتف في الإشراق والطفل
وصرح كسرى تداعى من قواعده وانفض منكسر الأرجاء ذا ميل
ونار فارس لم توقد وما خمدت مذ ألف عام وهز القوم ولم يسل
ومنطق الذيب بالتصديق معجزة مع الذراع ونطق العيل والجمل
خرت لمبعثه الأوثان وانبعثت ثواقب الشهب ترمي الجن بالشعل[1]

فقد جمعت هذه المقطوعة ما يزيد من اثنتي عشرة إشارة تاريخية، بعضها قد أثبتتها كتب السير الموثوق بصحتها كسيرة ابن هاشم مثلا، وبعضها قد حفلت بذكره كتب المغازي والتي أولت عناية خاصة للجانب الأسطوري قصد مضاهاة الديانات الأخرى ورفع بني الإسلام.

إن إشارة الشاعر مثلا إلى دعائه للأشجار كي تأتي إليه حصل ذلك حين خلا بإبن عمه الذي كان من أشد فتيان قريش قوة وفتوة، فأظهر له الرسول الأعظم من المعجزات حتى يجعله عبرة لمن يريد أن يعتبر "فأولى هذه المعجزتين هي مصارعة الرسول له والتغلب عليه وثانيهما استدعاؤه للشجر على مرأى فجاءته" (سيرة ابن هاشم جـ1 ص 390-391)*.

وفي دعائك بالأشجار حين أتت تمشي بأمرك في أعضائها الذلل[2]

أما قصة الشاه فهي كذلك من الرسول صلى الله عليه وسلم وهو في طريقة للهجرة فكانت للشاه أم معبد إحدى المعجزات بالنسبة لأتباعه قال:

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، ط1 1406هـ-1986م، قسنطينة (الجزائر)، ص 243.

* : (سيرة ابن هاشم جـ1 ص 390-391)

[2] : ابن هاشم السيرة، الجزء الأول، ص 330-339.

والشاه لما سمحت الكف منك على جهد الهزل بأوصال لها فحل[1]

وقصة الإسراء والمعراج وما عقبها من تشكيك في أمر رسالته من الكفار كذلك دعاؤه لأهله عام المحل ليستغيث لهم لما لحقهم من قحط وجدب، ثم الإشارة إلى تفجر الماء من كفه، مختتما كل ذلك بأعجز معجزاته للخلق قاطبة والمتمثلة في القرآن الذي لو اجتمعت الإنس والجن على مجاراته لعز عليهما ذلك.

أعجزت بالوحي أرباب البلاغة في عصر البيان فضلت أوجه الحيل
سألتهم سورة في مثل حكمته فتلهم عنه حين العجز حين تلي

ويذكّر الشاعر في مناسبة ميلاده بفضل الرسول على الصحابة الذين انتصروا به بعد ضعف وعزّوا بعد هوان ومذلة، ثم يورد ذكر التضحيات الجسام التي لحقت أتباعه جاعلا من بلال الحبشي رمزا للصلابة تمكن الدعوة التي استعصى أوارها أمام محاولة يائسة لاستئصالها من قبل جلاد كأمية بن خلف...

ألقوه بطحا برمضاء البطاح وقد علوا عليه صخور جمة الثقل
يوحد الله إخلاص وقد ظهر يظهره كندوب الطل في الطلل[2]

وفي الاستعراض الذي سيكون موجزا سنحاول استحضار بعض النماذج المتنوعة من مختلف المماليك، وإن كانت المولوديات في مجملها ذات نمق واحد وتصور متشابهة لهذا الحدث الهام، إلا أن ضرورة استقصاء جوانب هذا الموضوع نستدعي ضرورة التعريج على ذكرى بعض النصوص حتى يستشف من خلالها القيمة التاريخية والفنية لمثل هذا الغرض المستحدث في مسيرة الشعر العربي.

"كانت مملكة بني زيان كما هو طبيعي على موعد مع هذه التظاهرة الجديدة التي كانت تقام تحت رعاية السلاطين أنفسهم وبمشاركتهم في إحيائها بمدائحهم الموجهة لجنابة المكرم، وإلى جانب السلاطين فقد خلد شعراء البلاط معظم مراسيم هذه الاحتفالات ولعل شاعر الدولة الزيانية الكبير أبو عبد الله بن يوسف القبسي الثغري هو أبرز الممثلين لهذا الحدث في قصائده المولية ويشاطره في هذا المضمار شاعر الدولة النصرية ابن زمرك الذي ظل طوال

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات الأدب العربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، ط1 1406هـ-1986م، قسنطينة (الجزائر)، ص 244،

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 246.

خدمته لسلطانها محمد الخامس المعروف بلقب المخلوع خير معبر عن أبعاد هذا الموسم الروحية والمادية، كما يبرز إلى جانب هذين الشاعرين شاعر الدولة الحفصية أبو القاسم بن الخلوف القسنطيني الذي خلد في هذا المقام ديوانا كاملا ما يزال مخطوطا ينتظر من يعتني بإظهاره للحياة، وتجدر بنا الإشارة هنا قبل مواصلة الحديث إلى ضرورة الإشارة ولو المقتضبة والمتعلقة بالشاعر وديوانه المخطوط فيعتبر بالنسبة لي من مكتشفاتي الجديدة حيث رأيت نسخة منه في الزاوية الرحمانية بطلقة ولاية بسكرة، ويقع هذا الديوان في 195 ورقة جاء في تقديمه بعد بسم الله الرحمان الرحيم "هذا ديوان الشيخ الفقيه العلامة عباس أحمد بن المنعم المرحوم أبو الفضل قاسم ابن خلوف رحمه الله تعالى"

أما بعد فهذا ديوان عظيم يشتمل على معاني الكلام في مدح النبي عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام"

وقد اشتمل هذا الديوان على مطولات بلغت إحداهن ثلاث مائة واثنتين وخمسين بيتا 352 معنونة "بمزية المستمطر وصرخة المستنصر" والتي مطلعها:

أضرم الوجد في الحشاشة نارا إذ رأى الدمع في المحاجز فارا

وسرى النوم من عيوني بليل حين قالوا مت الحبيب وسارا[1]

وتأتي بعد هذه المولودية مثيلات لها في طول النفس نذكر منهن على سبيل المثال قصيدته المسماة روضة الأزهار ولجة الجواهر متكون من 233 بيت والتي أثبتها ناشر ديوانه السابق الذكر ولكن تحت عنوان مغاير هو "بسط العقود في مدح سر الوجود" ويرجع لهذه القصيدة لأنها بمثابة القاسم المشترك بين الديوان المنشور الذي يضم مدائح السلاطين والديوان المخطوط الذي يضم سوى المدائح النبوية.

"ثم نواصل الحديث عن القيسي الأندلسي ما حفظه لنا ابن عمار من شعره في موضوع المولوديات والتي يؤرخ لأولويتها منذ مطلع عام 760 هـ ثم يتواصل حضور هذا الشاعر على الساحة الزيانية غلى غاية 801 هـ ولعله تاريخ وفاته، فنجد هذا الشاعر يفتتح مسيرة مولودياته نبوية عام 760 هـ يعرج في آخرها على مدح السلطان أبي حمو موسى الزياني وذلك بعد استرساله الضافي في الذكر كل ما حفظت به تقريبا قصيدة الشقراطيسي مختتما بتشوقه للديار المقدسة وداعيا باسم سلطانه، مطلع هذه المولودية:

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات الأدب العربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، ط1 1406هـ-1986م، قسنطينة (الجزائر)، ص 254.

ذكرا لمى فتضاعفت أشجانه شوقا وضاق بسره كتمانه

إلى أن يبلغ خلاصة المرجو من كل هذا:

أزكى سلام للنبي محمد كالروض صافح روحه ريحانة
فهو الذي حب النبي وآله مازال منطويا عليه جنابه
قد قام مغشيا بمولده وكم سهرت له شوقا له أجفانه
يرجو شفاعته وسوف ينا لها وينالـه من ربه رضوانه[1]

أنه ينوه ويؤكد على الدور الذي لعبه سلاطين بني زيان وعلى رأسهم "أبو حمو" صاحب العناية الفائقة بمولده الشريف، الأمر الذي دفع بالشاعر إلى الجزم بأن ينال صاحبه شفاعة نبي الإسلام...وقد تعددت تدخلات الشاعر القيسي في هذا الموسم، وفي كل سنة بنفس قشيب ووهج روحي جذاب وإلا كان مصيره.

"مصير أولئك الذين طبعت مشاعرهم بصيغة التكرار الممجوج والوقوف على ما سبق ذكره، فالقيسي من هذا المنطق يبقى طول القامة أمام هذا الحدث الممحص لمدى قيمة إيمان المسلم وهو يواجه ذكرى تنجل عن كل وصف وقياس، وبهذا نجد الشاعر القيسي في كل مناسبة يسلط شاعريته على إبراز خاصية من خصائص عظمة الرسول الكريم، كأن يعتني عام 761م بقصة الإسراء والمعراج، وينفذ من خلالها إلى التنويه بما حضيت به أمة الإسلام من بين الأمم وهو شرف أهلها لتكون خير أمة أخرجت للناس:...

وما خص بالإسراء إلا محمد وما جال فوق العرش إنه مائل
هو اخترق السبع الطباق لربه فأولاه أسعافا بما هو سائل
وكم معجزات للنبي محمد ظواهر لا تبغي عليها دلائل
وليلة ثنتي عشرة منك شرفت ففيها بدر بدا بدر الهوى وهو كامل[2]

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات الأدب العربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، ط1 1406هـ-1986م، قسنطينة (الجزائر)، ص 255.

[2] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م، ص 256.

وقد تضمنت المولديات مجموعة من الأفكار البارزة والتي تلتقي جميعها حول هدف واحد أساسه التبتل والابتهال بجانبه وذلك للظفر بإحدى الحسنتين الشفاعة وتجديد الميثاق...

فكان لتعداد معجزاته إصرار على إبراز عظمته وتفرده كما كان في رجاء شفاعته والتشوق إلى مزاره وإقرار بالثبات على نهجه وثباته.

"وقد تعددت نبرات الشوق إلى رؤية الحمى وترابه المقدس كمكة وطيبة حتى جعلت بعضهم يكتفي مقنعا بتوجيه الأشواق محملة بنية صادقة مع ركب كما يقول الشاعر أبو زكرياء يحيى بن خلدون في إحدى مولودياته:

ألا أيها الركب المخِبُّون بالضحى عسى لك من أرض الحجاز ظعون
أعيدوا أحاديث العُذَيْبِ وأهله فلي بأحاديث العذيب فتون[1]

"فالشاعر القيسي الناطق باسم المحتشدين في ذكرى رسوله نجده يمد أكف الضراعة لتشمل شفاعة خير الخلق أمته بأقاصي الأرض والمغلوبة على أمرها أمام شهوات الحياة وجبروتها...

ألا يا رسول الله دعوة شيق يأمر آمالا لديك فساحا
مقيما بغرب كاد من فرط حبه يطير اشتياقا قالو أعير جناحا[2]

وإذا كان القيسي مقتنعا بشفاعة رسول الإسلام إلى كل منيب تائب.

"فإن الشاعر "بن الخطيب" لا يبتعد في تصوراته عن هذا المراد المرغوب وذلك بالرغم من الإقرار بحكم وقوف المسافة في وجه إتمام الرغبة، فحرارة الإيمان بإمكانها تخطي طول المسافة إذا كانت تعي قدر الشفيع في يوم لا ترجى فيه شفاعة إلا من أذن الرحمان له وقال صوابا:

---

[1] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 257.

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 258.

دعاك بأقصى المغربين غريب وأنت على بعد المزار قريب

يكلف قرص البدر حمل تحية إذا ما هوى والشمس حين تغيب[1]

"فبهذا النفس العذب السلس راحت تضرعات ابن الخطيب تسعى للظفر بوهج الدقيا، لأن منبع الفيض الشعوري لدى الشاعر وثيق الصلة بالإيمان فيقول ابن الخطيب مخاطبا جنابه:

ولي يا رسول الله فيك وراثة ومجدك لا ينسى الذمام كريمة

فلا تقطع الحبل الذي وصلته فوجودك موفور النوال عميمه

وأنت لنا الغيث الذي نستدره وأنت لنا الظل الذي نستديمه[2]

تجدر الإشارة إلى أن هذه المولوديات هي نبرة الصدق المفعمة بها بتاريخ الشعراء لأن الشعر كما يقال على قدر البقاع ومقامه صلى الله عليه وسلم ما نظنه تراود المراوغة فيه شاعرا لذا انعدم ما يمكن اعتباره مدحا مجانيا.

نجد كاتب الدولة الزيانية أبا زكرياء بن خلدون يصر على حضوره في مثل هذه المناسبة التي يكاد القيسي فيها يجلب أنظار العام والخاص ويحظى وحده بلقب شاعر البلاط فما يستشف من تلميحات أبي زكرياء هو الرغبة في اكتساب شرف الحظوتين حضوة النثر والشعر.

وهو ما يمكن استنتاجه في هذا التنافس بينه وبين القيسي الوافد من ثغور غرناطة، يضاف إلى هذا الجهد أنهما أمام ملك مواطن أمام القول والفعل ذواق لأفانين البلاغة فإذا كان القيسي يصر في تكرار مستميت على أبي حمو بمنزلته فذلك لأنه شعر في قرارة نفسه بحدة الصراع القائم بينه وبين من يرغبون في زحزحته من درجته التي أقرها السلطان فيها.

"لذا نجد القيسي في إحدى مولودياته يخاطب أبا الحمراء عام 771هـ بهذا الاعتداد المشوب بالثقة وروح التفوق...

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، ص 259.

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 260.

فلو رأى من مضى ما شدت من كرم لم يمدح "المتنبي" آل حمدان

إليكما كلمات لو بها سمعت "أولاد قتة" قالو شعر "حسان"[1]

"إلا أننا نجد"أبا زكرياء ابن خلدون" لا يترك الفرصة للقيسي كي يبرز شاعريته ويحظى بقصب السيف، فهو مقتنع أن حضوره سيقلص من طموح القيسي الجامح، فيخلص في إحدى مولودياته وكأني به يريد دحض أدعاء منافسه مخاطبا أبا حمو:

وخذها أمير المؤمنين مجاجة من القول غرا عن علاك تبين

شأرت بها صحبي وأنت شهيدها فليس لها بين النظام قرين[2]

تمنحنا هذه الأبيات الفرصة حتى نلمس ونستشف مدى المنافسة التي كانت بين الشعراء في ذلك الوقت فكل شاعر يريد البروز على حساب الآخر بل نستطيع القول أنها مصارعة حول من يثير الإعجاب ويقدم الأفضل.

"ولعل عامل التنافس هذا كان دوره الإيجابي في تنشيط مسار المولديات، فهو حدث فريد من نوعه قد عرف عناية في كفالة السلطان الشاعر أبي حمو الزياني الذي أضفى على هذه المناسبة طقسا خاصا لم تعرفه بقية المماليك المجاورة الأمر الذي أوقع الشعراء في مطب وإن شئت أيام اختبار عسير، اختبار الشاعر يتهم أمام حفل ضم كافة طبقات المجتمع واختبار ذاتي يمكن مدح توهج آثار مثل هذه الذكرى، مدى استجابة القريحة الشعرية لها لأنهم يواجهون بقولهم المأثور أنبل ممدوح أيمكن أن ينطق عن صفاته ما كرسه الرصيد الهائل الذي انهمر على الملوك والسلاطين والخلفاء والقادة نشوء الدولة الإسلامية فكان يوم المولد في المملكة كمملكة بني زيان يوما مشهودا لا يحظى فيه بالتشريف إلا من كانت عقيدته لا تضاهي ولا تعرف العثر.

"وإذا كان أبو حمو الزياني قد أحاط مثل هذه المناسبة بما يرتفع غلى مستواه وبلغ ما قاله هذا السلطان الجليل وما رفع إلى حضرته من شعراء دولته المدائح النبوية والقصائد المصطفوية في هذه الليلة المباركة شيء كثير، فإن خليفته على العرش وولده أو تشفين قد أضاف"[3].

---

[1] : عبد الله حمادي : دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، 261.

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص-ص 261-262.

[3] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، ص 262.

"إلى هذا الموسم ما يمكن اعتباره تجاوزا لمراسيم والده، ولا ندري مدى قيمة النية من وراء كل ذلك لأن في عهده أصبح يحتفل بليلة سابع مولده صلى الله عليه وسلم كما يحتفل بليلة مولده عليه الصلاة والسلام زيادة على سلفه ثم جرت سير الملوك بعدهم من أبنائهم على النظام من احتفالهم بمولده صلى الله عليه وسلم ورفع الشعراء إليهم تلك الليلة القصائد النبويات المولوديات وربما هذا ما أدى العديد من الشعراء غلى استهلاك طاقتهم الشعرية والشعورية لأن ضرورة تكرار المناسبة أجبرتهم على أن يكونوا على موعد من كل سنة للإحتفال بمولده فاستهلك الشعراء ما بأيديهم من مادة خام، بل تمادى بعضهم وهو في معرض امتداحه للمصطفى من إشراك ممدوح من السلاطين موازيا بينه وبين سيد المخلوقات في الصفات مما أثار حفيظة رجال الدين وحتى المعنيين بالمدح من السلاطين أمثال ملك غرناطة محمد الخامس الذي نجده يتصدى لشاعره بن زمرك (733-793) بالردع والزجر لأنه أفاض في مغالاته متناسيا أو متجاوزا أن التقارب بين الممدوحين لا محل لها من الموازنة، الأمر الذي دفع السلطان إلى عدم استصاغة ما أقدم عليه شاعره، الذي كما يقول ابن الأحمر "قد خدمه سبعا وثلاثين سنة بالمغرب، وباقيها بالأندلس أنشده فيها ستا وستين عيدا" فماذا عساه يقول في مثل هذه المناسبات المتكررة؟"[1].

لقد وجدنا العديد من الشعراء الفحول يعبرون بصريح القول على عجزهم لامتداح جنابه وهذا راجع إما لما سبق ذكره، أو لكونه أجل وأعظم من أن تحاط به غنيمة الشعراء، فابن جزي الكلبي الشاعر الغرناطي والأستاذ ابن الخطيب والذي عرف حسب ما جاء به من المصادر بإيمانه الراسخ وغيرته على دين المسلمين نجد هذا الشاعر يستشهد في معركة طريق ضد النصارى، وهو يغط ويشحذ هم المسلمين على مواصلة التصدي لأعداء دين أمته، فهذا الفقيه الورع الشاعر نجده يعتذر عن عدم قدرته ويرى في الإقدام على امتداح النبي صلى الله عليه وسلم مغامرة يرجى من ورائها حصر البحر وإحصاء ذرات الرمل والكواكب.

"بل يضيف ما هو أبلغ من هذا أنها لو تحولت كل جوارحه إلى ألسن وكل منها راح يلهج بتمجيد خصاله أو بحمده بمحامده لما وقف في إعطاء المطلوب حقه وأكثر من هذا أنها لو اجتمعت البشرية على التنويه بصفاته لعز عليها ذلك، ويصل إلى نتيجة يراها منطقية أما حدث جلل هو الصمت والإمساك حتى يسجل التقصير فيقول:

أروم امتداح المصطفى ويردني قصوري عن إدراك تلك المناقب
ومن لي بحصر البحر والبحر زاخر ومن لي بإحصاء الحصى والكواكب

---

[1] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 263.

ولو أعضائي غدت ألسنا إذا لما بلغت في المدح بعض مآربي[1]

ومن هذا المنطق الضيق، أو ومن هذا المأزق الخطير، من حيث الموقف الجلل، لا من جدب ساعة موضوعة وعدم استجابة الشاعر له تفجر أمام الشعور موضوع الأسطورة كرافد أو كتلبية لرغبة كامنة في الأحاسيس وذلك حتى ينفسح وراء القول جو التحليق البعيد عن الواقع والمشحون بعظمة الإبداع المرجو إبرازه وإضفاؤه على شخصية الرسول الكريم وكان على الشعراء أن يعتصموا بالرصيد المحفوظ في كتب السيرة والأقاصيص والأحاديث النبوية الصحيح منها والموضوع وأن تطلب الموقف الاستلهام حتى من الإسرائليات والحذو على نهجها، فانعكست هذه الثقافة الأسطورية، والدينية المستلهمة على وجه الخصوص من القرآن على خواطر الشعراء المرصودة في نبوياتهم وأصبح الاقتراب منها"[2].

" لا يأتي إلا بمعرفة هذه المصادر، فهذا الشاعر الأندلسي الرندي أبو الحجاج بن يوسف بن موسى الجذامي المتشافري، مؤلف ديوان "النفحات الرندية، واللمحات الزندية" وهو عبارة عن ابتهالات مولدية، نجده مغرما بتعداد المعجزات المسندة لرسول الله إما بوضوح أو بالتواتر حيث يقول:

كالظبي في تكليمه والجذع في تحنينه والبدر في تقشقيقه
والنار إذا خمدت بنور ولادته وأجاج الماء قد جلا من ريقه
والزاد قل قراد من بركاته فكفن الجيوش بتمرة وسويقة[3]

"بالإضافة إلى كل هذا لا يمكن تجاهل الموروث الشعبي، وكما لا يخفى علينا مما سبق ذكره أن العامة والخاصة قد تشاطرتا في مهمة إحياء مثل هذه المناسبة فكان حضور الشعر الزجلي أو الملحون الشعبي في المغرب له من أبعاد ما يجعله يقف جنبا إلى جنب مع المدائح النبوية الفصيحة كهذا القول الشبيه بما أثار إليه الجذامي وهو من الزجل الملحون.

---

(1) : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، ص 246.

(2) : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 265.

(3) : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 265.

لغزالة جاءت من سباق الخيل عيات
للهادي جاءت قالت وينو محمد
سيدي حتى واين مروحي وامباتي
اضمن في حتى انروح لولادي[1]

فهذه الغزالة المطاردة: كما تنقل العامة بالتواتر، فإنها لجأت إلى رسول الإسلام بعد جهد جهيد محتمية بجناحها، وقد قبل بشرط المطارد لها شريطة أن يبقى الرسول رهينة في مكانها وتنطلق لإرضاع ظبائها ثم تعود"[2].

"الشاعر الكبير مالك بن المرحل (604-966هـ) الغرناطي السبتي حيث يذكر بن خطيب انه له ديوان "العُشْرِيَات والنبويات" ويطلق عليه الوسيلة الكبرى المرجو نفعها في الدنيا والآخرة وكذلك رحلة بن رشيد الفهري الذي لم يتأخر و لم يعرف كشاعر إلا أنه في هذا المجال أبى غلا أن يشارك بديوان "ذكر بن الخطيب في إحاطة ج.ص 388 يعرف بالوَتَريات النبويات" كما ضم ديوان ابن زمرك "البقية والمدرك من كلام زمرك" الذي اعتنى بجمعه ابن الأحمر وحفظه لنا المقري في أزهاره مجموعة كبيرة من المسميات النبوية"[3].

وهذا ما يبين لنا مدى سعة الكتابات في هذا الغرض وهذا الإهتمام يبرز كذلك لدى المتأخرين فيأتي في العلامة أبو العباس سيدي أحمد بن عمار، الذي وصلتنا منه مجموعة لا بأس بها من نبوياته في رحلته تتراوح بين القصائد والموشحات وهو القائل: "وهذه الطريقة –اي المدائح النبوية التي مدحنا بها النبي صلى الله عليه وسلم عليها جرى أهلها بلادنا وأرباب طارقنا من البلاغة وتلادنا والشعر القريض في هذا الغرض ما أندره وأقله في هذا العصر الذي قبله".

وقد أشاد بمجهودات معاصره الذي عده إمام في هذا الميدان ألا وهو الشيخ أبو العباس سيدي أحمد المنجلاتي فيقول عنه: "وهذا الرجل الصالح من عشاق الشمائل المحمدية المشرفة العطرة الندية ولد ديوان قصائد مولودية".

"كما شدد بن عمار سمية في حلبة الشعر والمدائح النبوية أبو عبد الله محمد بن محمد الشهير بابن علي وكلهم من رجالات القرن الثاني عشر الهجري –الثامن عشر الميلادي، ولأبي عبد الله المشهور بابن علي ديوان شعر يعتبره بن

---

(1) : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، ص 266.

(2) : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 267.

(3) : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 268.

عمار على حد قوله: "خاتمة الشعراء العظام لهذا الصقع " كل هؤلاء يبدوا أن بن عمار قد اهتم بهم في تأليف له بعنوان "لواء النصر في فضلاء العصر" [1].

"كما كانت لأديب قسنطينة الكبير وشاعرها المعروف محمد بن عبد الكريم الفكون المتوفي عام 1073 مشاركة في المولديات وترك في هذا المضمار حسب رواية المغناوي "ديوان الشعر عبارة عن مدائح دينية" الجدير بالذكر هنا أن هذه الأسرة من أعرق أسر قسنطينة في العلم والجاه وإذا كان عبد الكريم برز بما تركه من آثار قيمة فإن أحد أسلافه المسمى حسن بن علي القسنطيني بابن الفكون قد ترك بدوره ديوانا كاملا في مدح دولة الموحدين وهو صاحب القصيدة المشهورة التي مطلعها:

ألا قل للسري بن الري ابي البدر الجواد الأريحي

وهي من أبدع القصائد رقة ولطافة وجمالا.

ولكن كل الذين حاولوا الاقتراب من مدح عيد ميلاده ظلت طاقتهم محدودة أمام جل الموقف الذي يقول في حقه الشاعر ابن زمرك:

فإذا البليغ يروم مدحك جاهدا أضحى حسام لسانه مقلولا[2]

وبرغم كل المجهودات التي بذلها هؤلاء الشعراء وطاقاتهم الشعرية التي سخروها في مدح خير الخليقة خير خلق الله إلا أنه في اعتقادهم قد قصروا و لم يعطوا النبي صلى الله عليه وسلم حقه.

2- الموازنة بين قصيدة المديح النبوي والمدح:

أولا: المـــــــــدح:

أ- المعنى اللغوي:

---

[1] : عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة (الجزائر)، ط1 1406هـ-1986م ، ص 269.

[2] : عبد الله حمادي: المرجع نفسه، ص 270.

"جاء في لسان العرب "لابن منظور" المدح نقيض الهجاء وهو حسن الثناء يقول: مدحته مدحة واحدة ومدحه يمدحه، مدحا ومدحة، هذا قول بعضهم والصحيح أن المدح المصدر والمدحة الاسم والجمع مدح وهو المديح والأماديح قال أبو ذبيب:

لو كان مدحه حتى منشرا أحدا أحيى أباكن ياليلى الأماديح

والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به، كالمدحة والأمدوحة، ورجل مادح من قوم مدح ومديح ممدوح"[1].

"وجاء في أساس البلاغة الزمخشري: مدح مدحة وامتدحه وممتدح وممدوح وممدح يمدح بكل لسان والعرب تمتدح بالسخاء، وهو يمتدح إلى الناس أي يطلب مدحهم وعندي مدح حسن ومديح ومدائح ومدحة ومدح وممدحة وأمدوحة وأماديح"[2].

---

[1] : ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص 452.

[2] : الزمخشري محمد بن عمر: أساس البلاغة، تحقيق: عبد الرحيم محمود، دار المعرفة، د ط، ص 324.

ب- المعنى الاصطلاحي:

"وتعداد الجميل المزايا، ووصف الشمائل الكريمة وإظهار للتقدير العظيم الذي يكنه الشاعر لمن توارت فيهم تلك المزايا"[1].

"والمدح من الأغراض الشعرية الأساسية التي تناولتها القصيدة العربية "إن القصيدة العربية تناولت أغراضا أربعة: المدح والهجاء والحكمة واللهو، ثم يتفرغ من كل صنف منها فروع له، فيكون من المدح المرائي والافتخار والشكر واللطف في المسألة، ويكون الهجاء الذم والعتب، ويكون من الحكمة لا مثال والتزهيد والواعظ وما شاكل ذلك من نوعه ويكون من اللهو والطرد صفة الخمر والمجون وما أشبه ذلك وقاربه"[2].

ثانيا:المديح النبوي:

"لا نريد الدخول في الحديث عن تاريخ بدء هذا الفن الشعري وتطوره والمراحل التي قطعها فتلك مسالة أحاطها الدارسون بكثير من عنايتهم في المشرق والمغرب، وما يهمنا هو شعر المديح نفسه، تلك القصائد التي أفرغ فيها جهدهم الفني، وذلك اللون من التعبير عن العواطف الدينية الصادقة"[3].

إن هذه القصائد غالبا ما كانت ترتبط بالمناسبات الدينية، خصوصا عيد المولد النبوي، يذكر لمقري في أزهاره أن أحد ملوك بني نصر وهو الغني بالله كان يحيي ليلة المولد النبوي ويجمع حوله الشعراء ونتاج لسان الدين ابن الخطيب وابن زمرك في الموضوع دليل ما نقول وقد سار الأمر تقليدا فيما بعد اتخذه الشعراء مناسبة أظهروا فيها سمو الإبداع في هذا الفن تاركين قصائد اتسمت بالفن وبالطرافة تلاحم فيها التعبير الغني بالإحساس الديني فجاءت غاية في الجمال، دالة من جهة أخرى واسع الإطلاع أصحابها ومعرفتهم الدقيقة الواعية للسيرة النبوية العطرة مع التركيز بصفة خاصة على طور البعثة وما صاحبها من معجزات خص الله بها رسوله عليه الصلاة والسلام.

---

[1] : جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، ط2، 1984م، ص 245.

[2] : قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، 1938م، ص 18.

[3] : قاسم الحسين: الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري (موضوعاته وخصائصه)، الدار العلمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، والدار العلمية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1986م، ص 71.

"فهذا عبد الكريم القيسي يفرد للمدح النبوي في حديث بديع عن شمائل الرسول والمعجزات التي خصه بها الله قصيدتين طويلتين تتصدران الأولى رائية تتصدران الأولى تقع في مائة وسبعة وثلاثين بيتا بدأها جريا على العادة بمقدمة غزلية شكى فيها صبابته ووجده منتقدا دور اللائمين وموقفهم من المحبين:

لو كنت للمحبوب يوما جادا ما كنت أشكو اليوم
ولما شكى جفني القريح سهاده ولما شكى قلبي المشيب
لكني أبعدت عن أوطانه لا طائعا كلا ولا مختار
فعلى فؤادي أن يذوب صبابة وعلى دموعي أن تصوب غزارا
على نحيبي أن يكون مجددا وعلى وجيبي أن يكون جهارا[1]

فن المدح في عهد النبوة:

لقد جاء الإسلام فأحدث تغييرا جذريا في الحياة الإنسانية وبخاصة في شبه الجزيرة العربية وأخذت القيم الجديدة التي جاء بها والتعاليم التي دعا إليها إرباك للمجتمع الجاهلي، فعلى محل التعصب للقبلية، والإنضواء تحت لواء العقيدة الإسلامية، هذا من الناحية الإجتماعية.

"ومن الناحية الفنية فقد انقسم الشعراء إلى فرقتين:

أ- تناصب الإسلام العداء وتهجو النبي صلى الله عليه وسلم.

ب- فرقة أخرى تدافع عن الإسلام وتمدح النبي صلى الله عليه وسلم وتدافع عن رسالته.

وكان للقيم والفضائل الجديدة التي جاء بها الإسلام كالاعتزاز بنصرة الدين والدعوة غلى اعتناق مبادئه ومحاربة الشرك والمشركين، أثر في تطور الفن منذ القرن الأول الهجري.

"فقد انبرى شعراء الرسول صلى الله عليه وسلم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك التي تغني بهذه الفضائل والدعوى إليها والتصدي للمشركين وهجائهم والرد عليهم".

---

[1] : قاسم الحسين: الشعر الأندلسي في القرن التاسع الهجري (موضوعاته وخصائصه)، الدار العلمية للكتاب، الدار البيضاء، المغرب، والدار العلمية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1986م، ص 72.

والذي ينبغي الإشارة إليه فإن فن المديح قد اعتبره بعض الفتور خلال الفترة الإسلامية لأنه فن يشيد بمظاهر الأبهة والكبرياء وهي أمور نهى الدين الإسلامي عنها وأوصى بخلافها كخفض الجناح والتواضع فالنبي صلى الله عليه وسلم لا يحب أن يعظم كما يعظم الملوك ويكره أن يمدح كما يمدحون، فكان شعر المدح النبوي هو الغالب على تلك الفترة وكان لحسان بن ثابت صيت ذائع وهو يمدح الرسول ويذكر مناقبه ويدافع عن عقيدته السمحاء التي ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك.

"فإن فن المديح النبوي كفن مستقل وغرض قائم بذاته له شعراؤه سيظهرون فيما بعد في العصر المملوكي عند الإمام شرف الدين سعيد البويصري في قصيدته الهمزية والبردة البلادة وكذا صافي الدين الحكي في البديعيات وهي قصائد في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ويعد أول من جعل المدح النبوي فنا قائما بذاته بعد البويصري كذلك أبو بكر بن علي المشهور بابن الحجة الحموي في كتابه خزانة الأدب ونهاية الأرب"[1].

وإذا ما جئنا إلى الموازنة بين الغرضين المدح والمديح النبوي نجد أن كل منهما قد أخذ من التراث العربي القديم ولا سيما من حيث الشكل ويلاحظ ذلك من خلال البناء العمودي لكل من قصائد الغرضين ومرد ذلك غلى ثقافة الشعراء العربية والتزامهم بالتقاليد والعادات القديمة ومن الأمثلة ذلك في المديح النبوي قول شهاب الدين بن خلوف:

أطالب حسر الوصف في مدح أحمد أسأت وقد أركبت أنفاسك العجزا
أتحصي الحصى والنبت والثرى وزهر الدجى والقطر والخز والبرا
وكيف أن تحصي من حسن من عدا لأوصافه الحسن مقال الورى يعزى[2]

"أما في المدح، شهاب الدين بن خلوف في مدح ولي العهد المسعود بن عثمان:

كأن النجوم الزهر في ليل دجيتها قلائد در كللت مسح راهب
كأن ضياء البدر في غسق الدجى بياض العطايا في سواد المطالب
كأن ثنايا الصبح عند ابتسامه سنا طلعة المسعود بين الكتائب

---

[1] : إعداد الطالب حميد قبايلي: الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب، ص 14.

[2] : الدكتور هشام بوقمرة: ديوان شهاب الدين بن الخلوف، الدار العربية للكتاب، ص 59.

إمام عند اللجود والمجد وارثا عن السادة الآبا الكرام والأطايب[1]

أما من حيث الموسيقى فكل من الغرضين قد نظم على الأوزان الخليلية المعروفة القديمة و لم يخرجا عنها فقد التزما النمط التقليدي الأصيل:

في المديح النبوي: قول بن الخلوف من بحر البسيط: مثل:

من مثل أحمد أو من ذا يشابهه ولو فرضت كمالا ما تعاده[2]

في المدح قوله أيضا من بحر الكامل:

مولاي يا كهف الملوك ومن حوى بأسا تذل له الأسود وتحتقر

ج/- أما من حيث المضمون وفي الموازنة بين الغرضين نجد أن كل منهما يختلف عن الآخر وهذا يتجلى جليا من خلال عنوان كل منهما فالأول هو المديح النبوي والثاني يتعلق بمدح الأشخاص، فالقصيدة المدحية تدور في عمومها حول مدح الرسول صلى الله عليه وسلم فقط وذكر معجزاته التي أثبتت قصد نبوته وصفاته وفضائله ونذكر من ذلك قول "ابن خبازة" في تعداد معجزاته صلى الله عليه وسلم قال:

وإن انشقاق البدر أعظم آية ترد على من كان للدين زاريا
وقصته في المحل لما دعا لهم فأبصرنا سحبا كالجبال هوانا
وسال به وادي قنات لأجله ثلاثين يوما لم يزل متوانيا
وفي قصة الزوراء للخلق آية وذكرى لعبد كان للذكر ناسيا[3]

---

[1] : الدكتور هشام بوقمرة: ديوان شهاب الدين بن الخلوف، الدار العربية للكتاب، ص 155.

[2] : الدكتور هشام بوقمرة: المرجع نفسه، ص 68.

[3] : إعداد: فواز الشعار: الشعراء العرب، ج2، إشراف: د.إميل يعقوب، دار الجيل، بيروت، ص 32.

أما قصيدة المدح فهي تدور حول مدح مجموعة من الأشخاص بذكر صفاتهم وخصائلهم أي أنها لا تتناول مدح شخص واحد وإنما يتعدد فيها الممدوح وقد يكون الغرض منها التكسب أي كمدح الأمراء والسلاطين لأغراض مالية تكسبية.

قال مالك بن المرحل في مدح الأمير أبي مالك بن السلطان يعقوب المريني، ويهنئ فيها والده بفتح مراكش:

فتح تبسمت الأكوان عنه فما رأيت أملح منه ميسما وفما
فتح كما فتح البستان زهرته ورجع الطير في أفنانه نغما
الحمد لله هذا ما وعدت به يا خير من ولي الدنيا ومن حكما
لن يخلف الله وعدا كان واعده فاشكر يضاعف لك الحظ الذي قسما[1]

[1] : إعداد: فواز الشعار: الشعراء العرب، ج2، إشراف: د.إميل يعقوب، دار الجيل، بيروت ، ص 41.

الفصل الثاني:

1- التعريف بالشاعر.

2- الشعر الديني عند محمد العيد واهم موضوعاته.

3- المولديات في شعر محمد العيد.

1 التعريف بالشاعر وبيئته (محمد العيد آل خليفة):

"ولد محمد العيد في مدينة (العين البيضاء) بتاريخ 27 جمادى الأولى 1323هـ، الموافق لـ 28 أوت 1904م، من أسرة دينية عريقة، ونشأ بهذه المدينة وحفظ القرآن وتعلم بمدرستها الابتدائية عن الشيخين محمد الكامل بن عزوز أحمد بن ناجي.

ثم انتقل إلى (بسكرة) على أبواب الصحراء، سنة 1918 حيث تابع دراسته على المشايخ علي بن ابراهيم العقبي الشريف والمختار بن عمر البعلاوي والجنيدي أحمد مكي.

وفي عام 1920 تاقت نفسه للذهاب إلى تونس كي ينال شهادة (التطويع) من جامع الزيتونة الذي كانت له شهرة دينية وثقافية في المغرب العربي كمعقل إسلامي عربي قديم، وقد زاد من شوق محمد العيد لتحقيق هذه الأمنية أن بشائر النهضة القومية كانت قد أخذت تبعث الآمال في النفوس التي ظلت يساورها الشك واليأس حوالي قرن من الزمان"[1].

وفي جامع الزيتونة حاول أن يتعمق في الثقافة العربية قديمها وحديثها، وأن يجمع الحياة الدينية التي ورثها عن أسرته ومشايخه، وبين الحياة المادية الصاخبة التي يعيش تحت شمسها ويسمع عن تطوراتها أشياء كثيرة، ولكن هذه المحاولة لم يقدر لها أن تنجح، فقد عاد إلى بسكرة بعد عامين لأسباب عائلية أو شخصية نجهلها حتى الآن، وعند رجوعه شارك في حركة الإنبعاث الفكري بالتعليم والنشر في الصحف والمجلات (صدى الصحراء) للشيخ أحمد بن العابد العقبي و(المنتقد) و(الشهاب) للشيخ عبد الحميد بن باديس و(الإصلاح) للشيخ الطيب العقبي.

وفي سنة 1927 م دعي إلى العاصمة للتعليم بمدرسة الشبيبة الإسلامية الحرة حيث بقي مدرسا بها ومديرا لها مدة اثنتي عشر عاما وفي هذه الفترة أسهم في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وكان من أعضائها العاملين، ونشر الكثير من قصائده في صحف (الجمعية البصائر، السنة، الشريعة، الصراط) وكذا في صحيفتي (المرصاد والثبات) لمحمد عبابسة الأخضري.

وفي سنة 1940 م بعد نشوب الحرب العالمية الثانية غادر العاصمة الجزائرية إلى بسكرة ومنها دعي إلى باتنة للإشراف على مدرسة التربية والتعليم إلى سنة 1947م ثم إلى عين مليلة لإدارة مدرسة العرفان إلى سنة 1945م

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119، كورنيش النيل-القاهرة. ج.م.ع، ص 86.

وبعد اندلاع الثورة الكبرى أغلقت المدرسة وألقى القبض عليه وزج في السجن وامتحنته السلطة الاستعمارية بعد إطلاق سراحه بمحنة غاشمة وفرضت عليه الإقامة الإجبارية ببسكرة فلبث بها معزولا عن المجتمع تحت رقابة مشددة إلى أن فرج الله عليه وعلى الشعب الجزائري بالتحرير والاستقلال.

وقد كانت بيئة الشاعر بيئة النهضة القومية في الجزائر التي تبتدئ من الربع الأخير من القرن الماضي وتمضي في صعودها وتأزمها حتى تصل إلى القمة في ثورة التحرير سنة 1904م.

ومن هنا لا بد من الحديث عن النهضة القومية ومظاهرها فنحن إذا ما قلنا الحديث عن البيئة معناه الحديث عن النهضة القومية فهما مرتبطان لكن لا يمكن أن نتعمق أكثر فنحن سنكون قد خرجنا عن موضوعنا فسوف نكتفي بذكر بعض المقومات الأساسية في تاريخ النهضة والملامح البارزة في هذه البيئة، لأن غرضنا لا يتجاوز أن يكون ربط الشاعر بالوسط الذي عاش فيه، والتيار الذي اشترك معه، وانفعل به من قريب أو بعيد، أما الحديث عن النهضة القومية في ذاتها وأساسها فله دراسة أخرى نرجو أن يسعدنا الحظ بإنجازها.

وقد اتخذت هذه البيئة عدة أشكال منها السياسي والاجتماعي والثقافي ومنها النفسي والأخلاقي والرجعي والتقدمي، ومنها الداخلي والخارجي، وسنكتفي هنا بالحديث عن الأشكال الثلاثة الأولى بقدر ما تتسع له مساحة هذا الفصل.

فإذا تحدثنا عن الحالة السياسية "بعد مضي نحو خمسين سنة عن الإحتلال، اطمأنت فرنسا –أو خيل لها– على مصيرها في الجزائر، وبدأت تستعد لتنظيم عمليات الغزو والحكم المباشر،... ولكي تضمن لهذه العملية النجاح يجب استبدال الولاة العسكريين بحكام مدنيين متعصبين وكسب ود العرب على طريق الدعاية الداخلية بالتنويه باحترام المقدسات وحرية اللغة والعقيدة والتنقل... والدعاية الخارجية كالتنويه بالتفاهم مع سلطان تركيا ومصر وفارس، وتسهيل شؤون الحج والعطف على آمال المسلمين جميعا ونحو ذلك من أساليب الدعاية.

وظلت هذه الدعاية مقرونة بالإغراء حينا والتهديد أحيانا أخرى تحذر الجزائريين، وتضع على أعينهم ضبابا كثيفا يحجب عنهم آمالهم ومستقبلهم"[1].

لكن كانت تلك الاضطرابات والصراعات في فرنسا ذاتها أثر كبير فقط بدأ الشعب يتفطن ببطء حتى ظهرت الحرب الواقعة بين تركيا وبين جيرانها والثائرين عليها، فأثار الوطنيين نحو أنفسهم ونحو عروبتهم ودينهم، فبدأت

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119، كورنيش النيل–القاهرة. ج.م.ع، ص (70-71).

أصواتهم تتعالى من أجل الحرية والاستقلال فنظموا الجهود الوطنية فظهرت أولا (كتلة النواب) التي كان يتزعمها الأمير خالد، وقد أشاد محمد العيد بمواقفه الوطنية في رثائه له بعد أن توفي في دمشق منفيا. وانظم إلى هذه الكتلة كثير من العناصر الوطنية المعتدلة. وظهرت الصحافة الشعبية والآراء الجريئة في السياسة لأول مرة.

و لم تلبث الحركة الوطنية أن شهدت ميلاد حركة جديدة في فرنسا باسم (نجم شمال إفريقيا) وكانت هذه الحركة تنادي بتحرير المغرب العربي كوحدة، كذلك ظهرت فيما بعد الحركة الإصلاحية باسم (جمعية العلماء) ثم ظهر (حزب الشعب) وبعد الحرب العالمية الثانية (حزب البيان الديمقراطي) تسانده طبقة وطنية شقفة.

أما الحالة الاجتماعية "فقد كانت الخطة الاستعمارية آنذاك تعمل على إبقاء النظام القبلي، وتنمية الروح العنصرية والطائفية"[1]، إذ أنها عملت كذلك على تسليط المشعوذين من رجال الدين على عقل الشعب البسيط غير أن هذه الخطة نجحت مدة ولكن كانت الحركات الوطنية لها فتصدتها وقضت عليها، فقد عملوا السياسيون على نشر الوعي في أوساط الشعب وتوجيههم وجهة صحيحة تخدم وطنهم ودينهم وقيمهم.

"وفي جحيم الاحتلال عانى الشعب كثيرا من الأمراض والفقر، وحلت به النكبات الجسام كالجوائح والزلازل والمجاعات المبيدة...وزاد من حدة هذه النكبات ووقعها تجريد الشعب من أملاكه وأرضه، وترك أبنائه نهب القضاء، يعملون أجراء، أو ينتظرون مصيرهم المظلم تحت رحمة البؤس والبطالة"[2].

هذا ما أدى إلى الهجرة، فهاجرت أسر بأكملها إلى الشرق، ورحل الشبان يبحثون عن الرزق في فرنسا ذاتها، وكاد نظام الأسرة المحافظة يفقد تماسكه حين غزا المبشرون الفرنسيون القرى الجزائرية أو البيض كما يسمون في الجزائر فمهمتهم لم تكن إنسانية بل كانت ذات خلفيات سياسية تعمل تحت شعار الدين والأخلاق والإنسانية، والظاهرة البارزة أيضا في المجتمع الجزائري آنذاك أنه مجتمع بلا طبقات، فهناك مساواة مطلقة ما بين الفلاح والعامل والمثقف "وهذا لم يكن نظاما سنُّوه لأنفسهم عن عقيدة سياسية أو دراسة موضوعية اجتماعية، ولكنه نظام جاء نتيجة لسياسة الإحتلال التي ترمي إلى جعل المحتل هو السيد الوحيد"[3].

وقد عمل المحتل على القضاء على الحركات الوطنية والجمعيات الإصلاحية المختلفة وذلك خوفا من ثورة الشعب فوجود مثل هذه الجمعيات تهدد وجود المحتل بالزوال.

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119، كورنيش النيل-القاهرة.ج.م.ع ، ص 75.

[2] : ا أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 75.

[3] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119، كورنيش النيل-القاهرة.ج.م.ع، ص 76.

"ومن الجمعيات التي أدت خدمات مشكورة إلى الثقافة الوطنية (جمعية الشبيبة الإسلامية)، وهي التي كان محمد العيد مديرا بمدرستها العربية حينا من الدهر، وقد ذكرها وذكر بعض رجالها في عدة مناسبات"[1].

كم كان هذا المجتمع من ناحية أخرى يعاني من أزمة الشك في قدرته للوصول إلى هدف واحد بعد أن فرقته الخرافات والشعوذة، وتعد سياسة المستعمر التي بددت أفكاره وأسره وأفراده، وقد تطورت هذه الأزمة حسب مواحل الكفاح الوطني فاكتسبت أحيانا القوة وظلت أحيانا أخرى في دوامة مع نفسها ولكنها تخطت هذه الأزمة لتسير في طاقة وحيوية نحو هدف واحد لمجتمع قوي متماسك "ومحمد العيد الذي خرج بهذه الأزمة إلى الشمس، والذي في أحضان الشعب منذ الطفولة، استطاع بحق أن يكون لسان هذا المجتمع الناطق وقلبه النابض. فتحدث عنه في هجراته وتشرده وإقامته الذليلة وقلقة وضياعه، وصور كفاح الشعب البطولية عبر التاريخ،...، كما ضمن شعره أكثر المشاعر الوطنية التي كانت تنبض بها قلوب الآلاف من أبناء الشعب. وقد أصاب محمد العيد في أغلب الأحيان وأخطأه التوفيق أحيانا، على أية حال كان مرآة لفترة غير قصيرة من حياة الشعب... من أجل المحافظة على قوميته ومقدساته، والوصول إلى مستوى إنساني رفيع"[2].

أما إذا تحدثنا عن بيئة محمد العيد من الحالة الثقافية فنجد أن الاستعمار قد غزا مراكز الثقافة القومية، ومحاولة تشويه عقول المواطنين وهذا كان تحت تخطيط من قبل المستعمر فقد كان يعمل على تغذية عقول المواطنين بالكره للثقافة القومية وإبراز مساوئها وجمودها، وترغيب الناس عنها، وحملهم على الإقتداء بالغزاة وأصبحت وسائل العيش لا تحقق إلا بالأخذ من ثقافة المستعمر، فكانوا مضرين لتعلم اللغة الفرنسية واكتساب الدرجات العلمية والحصول على الشهادات مما يضمن للفرد قوته وعيشه.

"هذه العقيدة التي سادت منذ سنة 1847 أي بعد انتهاء حركة المقاومة المنظمة، ولكن هذه العقيدة لم تصبح شعار الجزائريين كلهم على نحو ما فعلت بعض الشعوب الناشئة في ظل الإستعمار... بل كانت عقيدة طبقة معينة،...، أما عقيدة السواد الأعظم من الشعب الجزائري فقد كانت هي الحفاظ على تراث اللغة العربية بشتى الوسائل والبقاء على مراكز هذه اللغة ولو في أسوأ حال"[3].

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 77.

[2] : أبو القاسم سعد الله، المرجع نفسه، ص 78.

[3] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119، كورنيش النيل-القاهرة.ج.م.ع ، ص 79.

هنا تكمن روح المقاومة الجزائرية فقد كان الشعب يفضل تعلم اللغة العربية وحفظ القرآن ولو بطريقة بدائية كما قال أبو القاسم سعد الله في كتابه محمد العيد آل خليفة: "هنا تكمن الروح المقاومة الجزائرية –في نظري فقد فضل الشعب أن يبقى على الوسائل البدائية في تعليم اللغة والدين على أن يلقي السلاح ويبقى مجردا من كل شعار قومي...وبذلك احتفظت اللغة العربية بوجودها يغذيها تحفيظ القرآن وتعليم التشريع والتاريخ العربي الإسلامي"[1].

لكن كان هذا التعلم من أجل التعلم وفقط والثبات على القيم والأخلاق وليس لاستعمالها كأداة ضد المستعمر، هنا اطمأن الاحتلال و لم يعد يخشى من تاثيرها على المستوى السياسي لكن هذا الإطمئنان لم يدم طويلا فقد تلاشى وذلك بظهور الحركات الإصلاحية والذي كان الشيخ عبد الحميد بن باديس رائدها وزعيمها فقد عمل على نشر التعليم والدين فبعث في الشعب روح المقاومة والقتال وفي هذه الأثناء ظهر العدد من المصلحون وكان محمد البشير الإبراهيمي والعقبي واحمد توفيق المدني وأنشأ بذلك (جمعية العلماء).

وقد كان محمد العيد صوت هذه الجمعية، وذلك حين يهاجم الحزبية أو الرجعية أو الاستعمار، وقد ساهمت هذه الجمعية أثر على النواحي الثقافية الأخرى فقد علت الصحافة في الجزائر ومن ذلك والمنتقد والشهاب والبصائر، الإصلاح "وهذه الصحافة ساهمت في خلق جيل جديد من الأدباء والشعراء يواكب حركة الإصلاح ويدعو إليها، ومن الصحف التي رفعت محمد العيد إلى القمة: الشهاب، والبصائر، حيث نشر جل شعره وعرفه القراء على صفحاتها"[2].

ونحب أن نشير إلى أن تقسيمنا للبيئة إلى هذا النحو، وحديثنا عن كل قسم على حدة، كان لتسهيل معرفة ما يدور في بيئة محمد العيد من الحالات الثلاث، فالبيئة متداخلة متشابكة فهي تستمد مقوماتها وغذاءها من كل جانب فلا يمكن أن نتحدث على جانب ونترك آخر.

2- الشعر الديني عند محمد العيد آل خليفة:

يعد محمد العيد آل خليفة من رواد الشعر العربي الحديث، ومهما اجتهدنا في تبيان أهمية شعره فلن نقول أكثر مما شهد به رئيس العلماء وشيخ الأدباء البشير الإبراهيمي الذي قال: "رافق شعره النهضة الجزائرية في جميع مراحلها،

---

[1] : أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 79.

[2] :أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 81.

وله في كل ناحية من نواحيها، وفي كل طور من أطوارها، وفي كل أثر من آثارها –العقائد الغر، والمقاطع الخالدة، فشعره –لو جمع– سجل صادق لهذه النهضة، وعرض رائع لأطوارها"[1].

وكان محمد العيد جديرا بكل ما نال من ألقاب تدل على رسوخ القدم في مجدان الشعر، فقيل عنه شاعر النهضة الجزائرية وشاعر الشمال الإفريقي. وخير دليل على صحة هذه الأوصاف تلك الحياة الصاخبة التي عاشها، وكانت نابضة بالشعر والجهاد الفكري، والتي ترجم معظمها تراثه الشعري المبثوث في ديوانه الذي حوى مائتي نص شعري أغلبه قصائد طوال، كان فيها محمد العيد من أقوى الشعراء الجزائريين تمثيلا للشعر العربي الصميم في صياغته ونظمه.

وقد جمع قصائد الديوان أول مرة تلميذه أحمد بوعدو سنة 1952م، وتم طبعه سنة 1967م، ولكن الأستاذ محمد بن سمينة كشف عن قصائد للشاعر لم تنشر، جمعها من الصحف الوطنية القديمة، ومن النسخة المخطوطة من ديوان الشاعر، ومن أسرته ومعارفه، وهي بذلك تكملة واستدراك على الديوان، ونشرها في كتاب وسماه بـــ (العيديات المجهولة).

وكان الشاعر محمد العيد ينطلق في شعره من أربع محاور أساسية هي (الإسلام، العروبة، الوطن والإنسانية)، فكان سجلا أمينا لأحداث الوطن الصغير والكبير على السواء، ومعبرا عن آمال الأمة وآلامها، ولا تكاد تخلو قصيدة من الطابع الديني حتى القصائد الذاتية وقصائد الرثاء والوصف.

وإن الحديث عن شعر محمد العيد يقودنا إلى الحديث عن الشعر الديني الجزائري الذي امتاز بتنوع الموضوعات، وغزارة الإنتاج، وكان له دور كبير وخطير في الساحة الأدبية والروحية والسياسية الجزائرية، حيث إنه يمثل قسما كبيرا من الشعر الجزائري الحديث، ونميز فيه ثلاث اتجاهات هي الشعر الصوفي، والشعر الإصلاحي، والشعر الديني الملحون.

والملاحظ أن الشعر الصوفي كان في أغلبه مدائح نبوية وتوسلات بالرسول والصحابة والأولياء، وقد تجلى هذه الإتجاه بوضوح بعد تعرض الجزائر لحملات الدول الأجنبية، وبخاصة الحملات الإسبانية، وقد عمل الأتراك العثمانيون أثناء وجودهم في الجزائر على تشجيع هذا اللون من الشعر ووجد من الشعراء من يكتب قصة الرسول صلى الله عليه وسلم كاملة منذ ولادته حتى وفاته، أو يتحدث عن معجزاته أو يصف جماله الطاهر والباطن، ويشيد بنبوته وأخلاقه،

---

[1] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، مطبعة البعث، قسنطينة، 1967، ص 02.

بل من الشعراء من أرخ لغزواته وتحدث عن صحابته وأهل بيته وآثاره وفضائله...بل وجدت كتب معظمها صلوات على النبي ليس فيها من وقد دأب هؤلاء الشعراء على نظم قصائد المدائح كلما حل شهر ربيع الأول، وكان مدح الدايات في العهد التركي مختلطا بمدح الشعراء والتوسل به، ومن المؤكد أن الاستعمار الفرنسي عمل على تشجيع هذا الشعر لأنه لم يشكل خطرا ولا تهديدا على وجوده.

وأما شعر الاتجاه الإصلاحي فقد ظهر بظهور الفكر الإصلاحي الذي بدأ يتبلور قبيل الحرب العالمية الأولى، وبرز بشكل واضح بظهور جريدة المنتقد عام 1925م: "وهي أول صحيفة رفعت شعار الفكر الإصلاحي...وأعلنت عن هويتها التي تتمثل في الرجوع إلى الماضي العريق فكرا وثقافة وتراثا".

وكان شعراء الإصلاح يتأملون واقع المجتمع والأمراض التي شاعت فيه، واجتهدوا في علاجها عن طريق الدين وقيمه، وسلكوا أسلوب اللوم والتقريع أحيانا والسخرية والتهكم أحيانا أخرى، وأعلنوا رفضهم إهمال المرأة والأطفال ودعوا الناس إلى التوبة والرجوع إلى الله كما دعوا إلى رفض الفكر الغيبي الذي لا سند له من الكتاب والسنة، وتكررت في أشعارهم كلمات النهضة والتقدم والإصلاح والعصر الجديد وكان الجامع بينهم المبدأ الذي يقول: "الإصلاح يبدأ من الدين وينتهي به"، ولم يعد شعرهم مدحا فقط لصاحب الرسالة الإسلامية بل حمل إليهم الاجتماعي للشعب إضافة إلى القيم الروحية والتربوية التي كان يدعو إليها.

وكان بين التيارين الشعري الصوفي والإصلاحي معارضات ومجادلات شبيهة بشعر النقائض الذي شاع في العصر الأموي، ولكن الشاعر محمد العيد لم يشارك في تلك المجادلات قط، وأما أصحاب الشعر الديني الملحون فكان عددهم كبير، وكانت قصائدهم تقترب من الفصاحة، وكان فيها المديح والنصائح والحكم والنقد لأحوال المجتمع والتصرفات الغريبة عنه، ولكنه لم يراع الإعراب والقواعد في نظمه.

والشعر الديني عند محمد العيد يمثل أغلب شعره، وهو شعر إصلاحي، والإصلاح سمة غالبة على شخصيته، وهو في شعره لم يتناول قضايا فلسفية أو عقلية مجردة، كان يقتبس من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويوظف التاريخ الإسلامي المشرق، وبعض مواقف أعلامه ورجاله في الرسالة التي يحملها والقضايا التي يدافع عنها، وفي شعره نجد التمجيد للشهادة والشهداء، وذلك في أكثر من قصيدة، ومنها قصيدة (وقفة على قبور الشهداء)، والتي يقول فيها:

رحم الله معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجزاء
وسقى بالنعيم منهم ترابا مستطابا مقطر الأرجاء

هذي في الثري قبور حوتهم أم قصور تسمو على الجوزاء[1]

والإبتهال إلى الله: وله في هذا الموضوع عدة قصائد وكثير من الأبيات أهمها قصيدة (فاتحة ثناء وابتهال)، وفيها يقول:

حمدتك باللسان والجنان وحمدك عزة النعم الحسان
وباسمك ابتدي وعليك أثني مما أثنيت في السبع الثاني
بك استعصمت من فتن الأعادي كما استحصنت من محن الزمان[2]

والإحتفاء بالأعياد والمناسبات الدينية، كالمولد النبوي الشريف وشهر الصيام والحج وغيرهم، وفي هذا المقام يقول صالح خرفي: "يحلق محمد العيد في الآفاق البعيدة للرسالة السماوية والمواقف والوقوف مليا عند فتوحاته، وتلك هي مطامح الشعب الجزائري، وهو يعاني من التعلم الأجنبي".

ومن تلك المناسبات التي احتفى بها محمد العيد وخلدها بشعره في عدة قصائد ذكرى المولد النبوي الشريف ومنها قصيدة (سلو التاريخ) التي تجاوز فيها الحديث عن الذكرى إلى الدعوة إلى الاستقلال والتحرر من نير الأجنبي.

وفي مباركة أعمال ووفود الوعظ والإرشاد وتحية أهل العلم والعلماء نقرأ له عشرات القصائد والمقطوعات، ومنها قصيدة تحية العلماء التي يقول فيها:

طلعتم علينا كالكواكب في الدجى وسرتم إلينا كالسحائب في الجدب
سبطنا لكم منا قلوبا حفية فدوسوا عليها لا تدوسوا على التراب
وقمنا وللآذان إصاخة إليكم فهاتوا من حديثكم العذب[3]

وفي الرد على أعداء الدين له عدة قصائد منها قصيدة (هذيان آشيل، وأشيل أحد غلات الاستعمارين في الجزائر، كان رد الشاعر قائلا في تلك القصيدة:

---

(1) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1967، ص 435..

(2) : محمد العيد محمد علي خليفة، المرجع نفسه، ص 4.

(3) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1967، ص 247.

هيهات لا يعتري القرآن تبديل وإن تبدل توراة وانجيل
قل للذين رموا هذا الكتاب بما لم يتفق معه شرح ولا تأويل
هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس التماثيل[1]

وفي الحث على الإعلام الرسالي الهادف (الذي يحمل رسالة الدين والأمة) له قصيدة (تحية جريدة السنة) والتي يقول فيها:

تحر أساس العدل إن كنت شائدا فما كان طاغ قائم الركن سائدا
تنفس فجر الحق حولك صادقا أغر فما غر العيون الرواقدا
ويا أيها الداعي إلى الله لا تهن ولا يك في البأساء نافذا[2]

وكان لمحمد العيد حوليات شعرية اعتاد إلقاءها في المناسبات الخاصة بجمعية العلماء، وفيها تنويه بالقيم السامية للدين الإسلامي، وتغن بالعلم والعلماء، ويلتفت الشاعر غلى تاريخ السالف الصالح فيذكر بخصائلهم، ومن ذلك انتهازه لمناسبة إسلام شاب فرنسي يدعى (بنوا) وتسمى بعد إسلامه (علي سليمان) فنظم قصيدة (تحية المسلم الجديد)، وراح يبين فيها مكانة سلمان الفارسي، وصهيب الرومي، وبلال الحبشي في الإسلام، وندد بموقف بعض الشباب الذين عزهم بريق الحضارة العربية، وفيها يقول:

زفت إليك عرائس الإلهام فطرحت عنك بوالي الأوهام
وبحثت في الأديان بحثا منصفا فجنحت بعد البحث للإسلام[3]

وفي شعره دعوة إلى التفاؤل والصبر حيث يقول في قصيدة (كن قويا):

حثك المجد فاعتن واكسب المجد واقتن
لا تقل مشعلي خبا واحتوى الليل مسكني

---

(1) : محمد العيد محمد علي خليفة: المصدر نفسه، ص 85.

(2) : محمد علي محمد خليفة: المصدر نفسه، ص 96.

(3) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، دار البعث، قسنطينة، ط1، 1967، ص 214.

لك في الأرض راحة من خبي الخلد تجتني
واجعل الصبر ديدنا إنه خير ديدن[1]

وأما اليأس والكآبة فليس لهما مكان في قلبه، بل إنه حار بهما في عدة مناسبات منها قوله في قصيدة (أبا المنقوش):

وما في الجو من غيم كثيف وإن طال المدى فإلى الزوال
وقل لابن الجزائر كن صمودا فنصر الله للبأساء تالي
تحد الأقوياء بكل صير ووال الاحتجاج ولا تبال[2]

وكان للشاعر أمنيات جليلة، فهو يتمنى العيش حرا في بيئة خالية من الحقد والخطايا، واداء فروض الحب والطاعة لله وحده حيث يقول:

ليتني كنت سائحا موطني البيد ولبسي المسوح والأهدام
وطعامي النبات من كل نوع ومبيتي الكهوف والأكام
وسميري النجوم والطير فيا وعشيري الوعل والآرام
وجهتي للذي هداني وقصدي وصلاتي لوجهه والصيام[3]

وقد علق أبو القاسم سعد الله على الأمنية التي تضمنتها الأبيات السابقة فقال: "إنها أمنية تذكرنا بأساطير الفلاسفة والمتصوفين وتحضر إلينا صور العشاق العذريين الذين يجدون في الخلاء والمناجاة متعة الروح الظامئة حيث يسمعون همسات الأحبة تناجيهم عن قرب تارة وعن بعد تارة أخرى...وهم مع كل همسة ومع كل طيف يزدادون شوقا ويتحرقون لإشراقة الوجه الحبيب"[4].

وقد طرق الشاعر موضوعات دينية أخرى تتعلق بأمور العقيدة حارب فيها أمراض التردد والإلحاد وكشف أباطيل المستشرقين، وموضوعات تربوية، وفي موضوع المرأة التي خاض فيه الكتاب والشعراء والمفكرون كان لشاعرنا

---

(1) : ا محمد العيد محمد علي خليفة، لمصدر نفسه، ص 322.

(2) : محمد العيد محمد علي خليفة، المصدر نفسه، ص 426.

(3) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة، 1967، ص.

(4) : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، 1119 كورنيش النيل-القاهرة ج.م.ع، ص 100.

رأي برز في كثير من الأبيات، وفيه دعوة إلى التعفف والتعلم في البيت والمدرسة، وفيه تشنيع صريح بالرذائل والإنحرافات، ونقرأ في شعره نظرته للحياة والموت وهي نظرة لا تحيد عن تعاليم الدين والتي يري فيها أن الحياة ما هي إلا طريق شائك حيث يقول في قصيدة (في ظلال الخير):

والعيش ماالعيش سوق مالو فأحسنوا التجبر واصطفوا السلع
والموت مالموت عقبى العقيبات فمن أفضى غليه عداه السعي وانقطع
من مهد المهد شق اللحد في نظري للعقيبات ومن سمى الوليد نعى[1]

وللشاعر محمد العيد شعر صوفي مجرد يقول عنه أبو القاسم سعد الله: "في زهده تظهر سباطة أبي العتاهية وتسامي ابن الفارض وتحرر الغزالي وابن تيمية"[2].

وإذا ما وزنا بين شعره الديني وشعر الأمير عبد القادر نجد شعر الأول أغزر وأطول نفسا، طابعه إصلاحي اجتماعي في أغلبه بينما شعر الأمير أغلبه من الشعر الصوفي الخالص حيث المصطلحات والرموز الصوفية تبدو بكل وضوح وجلاء.

وهكذا اتصلت نزعته في علاقته بالله والتعاليم السماوية. فقد سبق ولاحظنا أن صلة الشاعر بالدين كانت أقوى من أن تقام وأوضح من أن تكون محل مناقشة، فالإسلام الركيزة الأساسية التي تقوم عليها الأمة وبه تحيى وتستمر فالتاريخ يكشف لنا على أن الكثير من الأمم قد آلت إلى الزوال بعدما حرفت عقيدتها، لهذا أخذ محمد العيد على عاتقه مهمة الدفاع عن العقيدة ومبادئ الإسلام داعيا ناصحا للتمسك بالدين باعتباره الطريق الوحيد للنجاة والنجاح. فالشاعر متشبع بالروح الدينية والتقى والورع يحب الخير للجميع وينصح الشباب للتمسك بالدين والحفاظ على العقيدة لانها حبل اعتصامه وقوة وحدته وعزته.

---

[1] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مطبعة البعث، قسنطينة 1967، ص 255.

[2] : أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، ط2، دار المعارف بمصر، 1119 كورنيش النيل القاهرة ج.م.ع، ص 163.

1-المولديات في شعر محمد العيد آل خليفة:

كان محمد العيد كغيره من شعراء الحركة الوطنية الحضارية، يصدر في قصائده المولدية، وفي جميع نتاجه من أرضية الواقع، متخذا من ذكرى المولد النبوي الشريف فرصته يحث فيها شعبه على اليقظة، ويدعوه إلى الإنتفاع بما في رسالة صاحبها من هدي في بناء عصر نهضته وأن يأخذ منها ما يعزز جانبه في الصراع الدائر بينها وبين أعدائه، وتمكينه من دحرهم والإنتصار عليهم.

وإن دراسة هذا النتاج (المديح النبوي) في الشعر الجزائري الحديث ومعالجة ما أصابه من تطور على أيدي معظم شعراء الحركة الوطنية الحضارية يمكن أن يكون بحثا علميا يحرص بعض الدارسين على النهوض به.

تحسن الإشارة بدء إلى أن أبرز شعراء العربية في الجزائر نهوضا بشعر فن المديح النبوي، ومن أكثرهم استجابة لمراميه، هم شعراء النهضة الوطنية، ويلقانا في مقدمتهم الشاعر محمد العيد آل خليفة، وقد وصلنا من شعره في هذا الغرض (سبع مولديات)، لم يتجه في واحدة منها اتجاه شعراء المدائح النبوية المتقدمين عن العصر الحديث، وإنما انتهج فيها نهجا جديدا، يقوم على استخلاص العبرة من سيرة صاحب هذه الرسالة ومن سنته بما يسمو بواقع قومه، ويدفع بهم نحو تحقيق أهدافهم الكبرى في الرقي والتحرر.

وهذه هي المولديات السبع للشاعر مرتبة ترتيبا زمنيا حسب تاريخ نظمها:

1- (هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد). 1928.

2- (تحية المولد النبوي). 1929.

3- (خطك الله للعباد كتابا). 1932.

ونستهل الحديث عن هذه المولديات بالوقوف عند ثلاثتها الأولى المتقدمة سابقا المستدركة على ديوان الشاعر وهي:

1- (هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد) و تشمل على تسعة وثلاثين بيتا من البحر الوافر.

2- (تحية المولد النبوي) وتتكون من خمسين بيتا على البحر الكامل.

3- (خطك الله للعباد كتابا) وتتكون من واحد وأربعين بيتا على البحر الخفيف.

أما قصيدة الشاعر الرابعة في هذا الباب فهي (ذكرى المولد النبوي)[1] وتقع في سبعين بيتا، وقد أنشدت هذه القصيدة في احتفال بالمولد النبوي إقامته جمعية الشبيبة الإسلامية بنادي الترقي على عادتها في سنة 1937م، "وإن الدارس لهذه القصيدة يدرك أن صاحبها، استطاع أن يحافظ فيها على منهجه الواقعي الذي ألمح إليه في أول مولدية له"[2].

وإن الرغبة في إحياء السنة الشريفة والإقتداء بهدي صاحبها، والعمل بما جاء به من شريعة وقيم تلكم هي أهم ما كان يرمي إليه معظم شعراء الإصلاح، والشاعر واحد منهم –من خلال ما ينظمون من شعر بهذه المناسبة.

"ما سبق بيانه من أن الهدف الأساسي من إحياء هذه الذكرى في منظور محمد العيد وفي منظور جيله، غنما هو العمل على تصحيح ذلك المفهوم السائد لهذه الاحتفالات لدى بعض الأوساط تلك التي لا يهمها إلا المظهر مما يكاد يجرد هذه الذكرى من كل سلوك عملي فيه نفع للناس، بل ربما تكون في بعض الأحيان عاملا من عوامل السلب، بل ربما يشاع فيها من مظاهر الفساد، وكان المصلحون يحرصون على توجيه ما يقام في هذه المناسبة، الوجهة السلبية التي تؤكد على استخلاص العبرة والإفادة منها بما ينهض بقومهم ويسمو بواقعهم، ويأخذ بأيديهم للخروج مما هم فيه ودرك هوان. وتحقيقا لذلك عمد الشاعر إلى الوقوف وقفة متأنية، استعرض فيها جملة من المواقف والمشاهد، ونقرأ فيها أول ما نقرأ، صفحات ناصعة من سيرة الرسول (ص) تبرز حقيقته كرحمة مهداة من عند الله للعالمين، وتوضح جهوده جفي نشر الدعوة وإرساء دعائم الدولة الإسلامية.

ألا يا حبذا ذكرى أقمناها لميعاد
بها نستعرض التاريـــ خ من خاف ومن باد
سلوا التاريخ عن بر رحيم للورى فادي
سلوا التاريخ عن طود تعالى فوق أطواد
سلوا التاريخ عن أرض حماها من يد العادي
سلوا عن دولة الإســـ لام كم باهت بأجناد [3]

---

[1] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة 1967، ص 75.

[2] : جريدة البصائر: القصائد المولدية في شعر محمد العيد ىل خليفة، العدد 589.

[3] : محمد العيد محمد خليفة: الديوان، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة 1967، ص 77.

"وكأن الشاعر لم يقنعه هذا الحديث العام الذي ألمع به إلى العبرة من هذه الذكرى، فأحب أن تكون خصوصية يؤكد فيها لقومه ضرورة التآخي والاتحاد، ويحذرهم من نتائج الفرقة والتراع، ويفزع الشاعر إلى نهاية قصيدته فيختمها لا بما يختم به الشعراء المتصوفة مدائحهم من معاني التوسل والشفاعة، وما إلى ذلك، وإنما اختص ختمها بما يزيد منهجه الواقعي تدعيما وفاعلية، وذلك بدعوته الشعب إلى التمسك بدينه واستلهم حقائقه في مسيرته النهائية، واقتفاء آثار رجاله العاملين المخلصين، وإن كان في هذه الخاتمة ما يقر به من خواتم بعض المتقدمين، فلعل في ذلك ما يبدو في ظاهرة الدعاء، هذه السمة يتميز عن بعضهم بالتوجه في دعائه لا لنفسه، وإنما إلى الله وإلى نصرة دينه"[1].

ويقول في هذا الصدد، مخاطبا شعبه:

أنط يا شعب من دينـــ نك أطنابا بأوتاد

وهيء مثل ما هي ـــأ حزب الله من زاد

وسر في إثرهم سيرا قويما غير مناد

ألا فليحي اللـــ ـــه في نصر وإمداد

ألا فليحي دين اللـــــ ـــه آلما دا لأماد[2]

ويمكن مما اتضح من خلال ما تقدم أن الشاعر كان في عمله هذا أكثر وفاء لمنهجه الذي كان ينطلق فيه من التاريخ، فإن جل اهتمامه فيه كان ينصب على الحاضر "ذلك أن الحديث عن ذكراه وعن سيرته ودعوته ودولته وعصره، إنما كان الهدف من كل ذلك هو معالجة الحاضر والنهوض به.

ونأتي إلى الوقوف عند المولدية الخامسة ألا وهي (الأنشودة الوليد) وتقع في أربعة وخمسين بيتا على المجزوء، نظمها الشاعر على لسان أحد الفتيان لتكون أنشودة الجبل وقد طبعت هذه القصيدة وحدها بهذا العنوان بالجزائر سنة 1938م بكتاب صغير، وطبع الكتب خصيصا لتلامذة المدارس العربية، لتداولها بين أوساط الطلاب والناشئة عموما، وقد كانت للشاعر دوافع حملت الشاعر على أن يتوجه هذه الوجهة، ذلك أن الشاعر قضى معظم حياته عاملا بسيطا

---

[1] : البصائر: القصائد المولدية عند محمد العيد آل خليفة، العدد 589.

[2] : محمد العيد آل خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، قسنطينة 1967م، ص 78.

في حقل له، هذا ما سمح له بأن يكون في أقرب المواقع من بيئة الشباب، ومن بين أكثر الناس خبرة بميولهم وباتجاهاتهم، وكان الشاعر –إلى جانب ذبك– واحدا من كوكبة الشعراء الذين يؤمنون بأنهم أصحاب رسالة اجتماعية ولابد له من تلك المساهمة الفاعلة للوطن وذلك بالقيام بعملية البناء النفسي والفكري لأفراد وطنه.

وبديهي أن أية عملية من هذا النوع يمكن أن لا يحالفها النجاح إلا إذا بدأها صاحبها من الأساس. والأساس في حياة كل أمة، شبابها.

ومن هذا التصور كان لابد للشاعر من أن يخص ناشئة وطنه وهم يمثلون ركائز بنائه وعدة مستقبله ببعض القصائد من ذلك هذه القصيدة التي خطا فيها خطوة جديدة على طريق التطور في موضوعها وفي وجوه صياغتها، فاستعمل الأسلوب المباشر الذي يقوم على الأمر والنهي، وما إلى ذلك فسمة الخطاب كانت واضحة فيها.

وفي هذه القصيدة (نشيد الوليد) "سيعرض حادثة المولد وذكرى صاحبها وأعماله في التاريخ وخوالد أمته في الحضارة والعلوم والبطولة"[1].

و لم يكن محمد العيد آل خليفة قد استهل (نشيد الوليد) سواء ما كان منها من الحمد والتوسل أو غير ذلك أو بما كان هو نفسه قد استهل بهم ولدياته السابقة وإشادته بشهر المولد، وبيان دواعي الاحتفال به، فإنه لم يفعل ذلك في هذه المولدية وغنما عبر عن مكنونات وجدانه وما يفيض به من حب الرسول صلى الله عليه وسلم وتعلق بهديه وتجمل بأخلاقه، فقد قال على لسان الوليد الجزائري:

بمحمد أتعلق وبخلقه أتخلق

وعلى البنين جميعهم في حبه أتفوق

نفسي الفتية دائما من حبه تتحرق

وجوانحي مهتاجة ومدامعي تترقرق

مالي وللقب النبي تختار لي وتنسق

إن التعلق بالرسو ل ودينه بي أليق

---

[1]: أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، الطبعة الثانية، دار المعارف بمصر، 1119 كورنيش النيل القاهرة، ج.م.ع، ص 142.

أنا مسلم أهوى الهدى سواه لا أتحقق

بخلال أحمد أرتدي وحبه أتمنطق[1]

ثم أعقب الشاعر ذلك ببيان فضل وشهر ميلاد الرسول (ص) وتوضيح ما غشى العالم على إثره وما علا الوجوه من نضارة وسناء، ثم عاد من جديد ليؤكد للرسول (ص) على لسان ذاك الفتى. وهو من سائر الناشئة الجزائرية، ومن ورائهم عموم الشعب الجزائري، بأنه سيكون أسرع أترابه إلى ما يرضى به وسيكون جنديه الغازي بأمره، "ونحسب أن في هذا المعنى ما فيه من إيحاء، وتوجيه غير مباشر للشباب أنفسهم للجهاد دفاعا عن العقيدة والوطن، وتحقيقا عليهم الأمة من آمال"[2].

وتذهب بالشاعر نفسه المشبوبه بحب الرسول صلى الله عليه وسلم وإتباع هديه إلى استخدام أسلوب القسم بصيغة (المفرد المتكلم) وتبيانه لأنه لا يمكن أبدا زحزحة إيمانه بعقيدته ولا تستطيع أي قوة أن تنال مثقال ذرة من ثبات شعبه. فقال:

أنا أسرع الفتيان في ما ترتضيه وأسبق

جنديك الغازي بأمـــر ك يوم يغزو والفيلق

قسما بربك إنني من غيرك لا أفرق

إني على البيضاء معـــ تدل الخطأ لا أزلق

لا أنثني عنها ولو أصلى الجحيم وأشنق[3]

وينتقل الشاعر من هذا الحديث ليقف وقفة أخرى يغذي فيها العقل والوجدان مما تفيض به سيرة الرسول من عبر ومواقف، ونجد الشاعر لم يأتي على سر صفات المادية للرسول (ص)، والتعداد المجرد لمعجزاته كما فعل بعض الشعراء، لكنه اتجه اتجاها خاصا رأى أن يخدم ما يود أن ينهض به من خلال هذا الشعر، ولذلك نواه يركز على

---

(1) : محمد العيد آل خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف قسنطينة 1967، ص 166.

(2): البصائر: القصائد المولدية لمحمد العيد آل خليفة، العدد 589.

(3) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف، قسنطينة 1967، ص 167.

جوانب خاصة من حياة الرسول (ص) لإيمانه بأن أمته في أمس الحاجة إليه، ومن هذه الرؤية عمد الشاعر رسم مواقف من حياة الرسول (ص)، مؤكدا على استخلاص العبرة من مواقفه، وملحا على الاقتداء به.

وقد ذكر في جريدة البصائر "أن هذه القصيدة قد نالت حظا وافرا من إعجاب الأمة بها"[1]. وهذا ما مكن الشاعر أن يساهم بفاعلية إلى جانب إخوانه الشعراء في تحقيق جملة من الأهداف كانت الحركة تتوخاها من هذه الاحتفالات المولدية بتوجيهه الصالح العام، وينفع الأمة في دينها ودنياها.

ويبدو أن محمد العيد قد ذهب في قصيدته إلى أبعد مما بلغه في غيرها، كما يتجلى ذلك في عدوله عما تعج به مدائح بعض المتقدمين وبعض المحدثين من سرد معاني الميلاد والنسب، وتعداد الصفات المادية، وسرد المعجزات المختلفة، فقد شغل محمد العيد يأخذ باهتمامه في هذا الشعر من بذل عناية خاصة فيما يتصل بحياة الناس أكثر مما يتصل بغيرها.

ونجد الشاعر قد اختتم مولديته بموضوع الساعة في الجزائر آنذاك وهو محاربة السياسة الاستعمارية فرنسة الجزائر وإلغاء قوميتها العربية والدينية. "فيقول على لسان الوليد الجزائري إنه سيتعرض طريق هؤلاء الدعاة الحمقى ويقف في وجوههم ماداموا يزعمون أن في استطاعتهم إدماج شعب عربي مطوق بشعارات الرسول وشعاراته المجيدة في العروبة والعقيدة"[2] فيقول:

أنا صارم في وجه من ينـــــــ وي ابتلاعك يمشق

إن الذي يبغي اندها جك في سواك لأحمق

لا ينمحي شعب شبا رات الرسول مطوق[3]

والمناسبة الدينية لا يحتفل بها الشاعر لذاتها بل للتذكير بما فيها من مواقف وبما حفها من دفاع عن الحق والفضيلة وما صاحبها من مجد وسلطان، ثم يحاول بعد ذلك ربط المواقف التاريخية والبطولية بالمواقف الحاضرة لعل

---

[1]: جريدة البصائر: القصائد المولدية لمحمد العيد آل خليفة، العدد 589.

[2]: أبو القاسم سعد الله: محمد العيد آل خليفة، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية، 1119 كورنيش النيل القاهرة ج.م.ع، ص 142.

[3]: محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف، قسنطينة 1967، ص 167.

الشعب يجد في ذلك عبرة وذكرى وحافزا على تجديد نشاطه وتمسكه بشعاراته واستعادة حقوقه وبناء مستقبله الكريم.

ونأتي إلى سادس مولدية للشاعر وهي (يا أمة الخير) وقد نشرت في جريدة البصائر سنة 1939م وليس في الديوان ما يشير إلى مناسبتها ربما لوضوح محتواها. وهي من أقصر مولدياته، إذ تقع في ثلاثين بيتا، ويستهلها الشاعر بتوجيه الخطاب إلى أمته التي حل بها شهر الربيع شهر ميلاد نبيها الكريم ليحييها بما يليق بمقامه مذكرا إياها بقصة أعظم رسول بعثه الله في العالمين:

حياك شهر ربيع بكل حسن بديع
مذكرا برسول للعالمين شفيع
مبارك حل فيه حلول غيث بريع[1]

ويتقدم الشاعر خطوة إلى الأمام في قصيدته هذه، وهو على ذلك الطريق الذي شقه في المولدية، أعطى ما يمكن للمواطن في استخلاص العبرة في هذه الذكرى، وأكثرها نجاعة في توجيه الأمة، لا يوجد شيء لنيل المرامي أبلغ مما جاء به نبيها من نور وهدى، فإن ذلك لا ريب في ما يحي فيها روح الجهاد، ويمكن من جمع شملها، ويجنبها خطر الشقاق ويحرص أن يختتم قصيدة بما يزيد دعوته للبقاء على طريق الجهاد ووحدة الصف، وذلك بحضه إياها على التمسك برأس الفضائل ألا وهو دينها الحنيف، وضرورة الإقتداء بموقف السادة الصحابة من الرسول (ص) وهو يتقدمون الصفوف يفدونه ويذودون عن دعوته، فإن في سيرة هؤلاء النفر في مواقفهم الأسوة الحسنة، وبهم يجب أن تقتدي الأمة وعلى منهجهم ينبغي أن تواصل سيرها نحو أهدافها المنشودة، يخاطب الشاعر أمته بذلك قائلا:

يا أمة الخير لبي دعاءه وأطيعي
قومي بدينك قومي قوية لا تميعي
كوني لـــ(طه) كنجد من صحب (طه) شجيع
فدوا من الضيم (طه) ودينه بالنجيع
فاقفيهم تحت ضوء من الرجاء شطيع

---

[1] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف، قسنطينة 1967، ص 174.

وتابعي هدى (طه) وشايعي وأذيعي[1]

"إن الذي يمكن أن يخر به الدارس من تحليله لهذه القصيدة وإمعان النظر في محتواها وفي صورتها يجد ذلك الميل الواضح إلى استخلاص العبرة من إحياء المولد النبوي الشريف بما يسموا بواقع الأمة ويأخذ بها إلى العزة والتقدم"[2].

وقد اختار الشاعر لسابع مولدياته هذا العنوان(سلوا التاريخ) وتقع في اثنين وخمسين بيتا، وقد نشرت في العدد (114) من جريدة البصائر سنة 1950. وقد أنشد الشاعر هذه القصيدة في ذكرى المولد النبوي الشريف وهي قصيدة جامعة استطرد فيها الشاعر من لون إلى لون كعادته في مطولاته، فمن تحضيض على النهوض إلى صرخات مستفزة إلى وصف شائق، إلى تذكير بأمجاد التاريخ الإسلامي ليخط الأسوة لهذه الأجيال النائمة.

إن الشاعر يستهل قصيدته هذه بمقدمة قد تبدوا بما توحي إليه بعض معانيها من إشارات صوفية خفية

هجدت فضاع حظي في هجودي ولم أقض اللبانة من وجودي
رقدت فضاع في الأحلام عمري كذلك تضيع أعمار الرقود
أؤمل أن أرى حظي كبيرا من الحسنى وتحمي في صعود
وتنآى بي عن الكدرات عفتي وعودي للصفاء المحضي عودي
ولا تدعى هموم الدهر تطغى عليك فقد أتى شهر السعود[3]

فكان بذلك الشاعر يدعو النفس أن تخرج عن آلامها وأحزانها، وتمضي لأفراح الميلاد فنجده قد تحدث عن خيبة الآمال وذاك الصمت ومضى بعدها يشدو لأفراح الميلاد ميلاد محمد صلى الله عليه وسلم فراح يعبر عن فرحته بأعذب الألحان وأصدقها، فيرسم مشهدا سريعا يبرز أثر ميلاد هذا الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم ثم يتبع مراحل حياته وسيرته منذ أن كان وليدا ناشئا، وطفلا يتيما، وشابا أمينا حتى صار نبيا رسولا حاملا رسالة، فمضى يدعو إلى

---

(1) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، الطبعة الأولى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف، قسنطينة 1967، ص (174-175).

(2) : البصائر: القصائد المولدية لمحمد العيد آل خليفة، العدد 589.

(3) : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف قسنطينة 1967م، ص 198.

ربه دون أن يقعد به عن أهدافه تقدم العمر وشدة ما لقي في سبيل ذلك من الأذى: "ويهدف الشاعر أن يكون للأمة من ذلك ما يحملها على أن تنهج نهج نبيها"[1].

وقد وضع الشاعر جانبا آخر يوضح فيه كفاح النبي صلى الله عليه وسلم في نشر رسالة الإسلام وما أبداه أثناء ذلك من صدق العزيمة وثبات على المبدأ.

ثم يتوجه الشاعر بكل تضرع وخشوع، وبعبارات تعلوها مسحة صوفية إلى مخاطبة الرسول (ص)، يرفع إليه الإسلام ومحبة يطمح في شوق متزايد إلى أن يكحل عينيه بمرأى مقامه عليه الصلاة والسلام. فقال

عليك أبا البتول سلام عبد قضى عنك يطمح للشهود
يناشدك الشفاعة وهي كتر نفيس لا يقوم بالنقود[2]
ويرجو منك إقبالا وحاشا لوجهك أن تعاقب بالصدود
ألم تك يوم تاب إليك (كعب) خلعت عليه خالدة البرود[3]

إلا أن الشاعر لم يلبث بعد هذه الاستجابة القوية الخاطفة لنداء الشوق النابع من قلبه أن يفيق فسرعان ما نسي ذاته، وعاد للعواطف الجماعة واندمج في ذات شعبه، وهو يصور وينقل شعب في أيدي المحتلين يمارس عليه شتى أصناف الظلم والاستبداد للرسول الكريم فقال:

عليك سلام شعب فيك يؤذي ويرمي بالتعصب والجمود
ضعيف ماله في العيش حظ سوى دمع سبيل على الخدود
شح عليه بالتحرير دهر سخا بالملك حتى لليهود
فكاد يبوء بالخسران مماوكيف يبوء يلاقي اليوم من فشل الجهود

---

[1] : البصائر: القصائد المولدية لمحمد العيد آل خليفة، العدد 589.

[2] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف قسنطينة 1967م ، ص 198-199.

[3] : محمد العيد محمد علي خليفة: المصدر السابق، ص 199.

بالخسران شعب يكن ولاءه لك في الكبود[1]

لقد لخص الشاعر من تلك الوقفة التي وقفها بين يدي الرسول (ص) إلى وقفة أخرى حاول أن يستخلصها لأخذ العبرة من الذكرى، وذلكم هو مطلبه الأساسي كما هو معلوم في هذا الشعر، حاثا شعبه على النهوض والاستقامة، وذلك في صيغة هذا التساؤل وهذا الرجاء:

وهل شعب الجزائر مستفيق من الأحلام مطرح الركود
وهل هو بالتحرر سوف يحظى كأمة ليبيا أو (كالهنود)
ولا يعطي التحرر غير شعب يجيب المعامع حيث نودي
أحقا أن الاستعمار أودى به عدوانه أو كاد يودي؟
إذا فمشيئته الأولى تعالى قضت بنشورنا بعد الهمود[2]

ويختتم الشاعر مولديته هذه بهذه الدعوة إلى جميع أبناء أمته بأن يخدموا دينهم ويتمسكوا به وبتعليم كتابه وسنة نبيه، وفي ذلك عزهم وتحررهم ومجدهم ورقيهم:

بني الإسلام أحيوا الدين أحيوا شعائره وأوفوا بالعقود
فدين محمد دين الترقي ومجد محمد مجد الخلود[3]

---

[1] : محمد العيد محمد علي خليفة: الديوان، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، دار المعارف قسنطينة 1967م ، ص 199-200.

[2] : محمد العيد محمد علي خليفة: المصدر نفسه، ص 200-201.

[3] : محمد العيد محمد علي خليفة: المصدر نفسه، ص 201.

والخلاصة أن محمد العيد –كغيره من شعراء الحركة الوطنية الحضارية– كما قال البشير الإبراهيمي: "فقد رافق شعره النهضة الجزائرية بكل مراحلها، وله في كل ناحية من نواحيها وفي كل طور من أطوارها وفي كل اثر من آثارها القصائد الغر، والمقاطع الخالدة"[1].

وهذا ما كان في هذه القصائد المولدية التي صدرها فقد اتخذ من ذكرى المولد النبوي الشريف فرصته ليفيق شعبه، وينهض به إلى الأمام ويثنيه على الثبات على عقيدة التوحيد، ويدعوه إلى الإنتفاع بما في رسالة المصطفى من هذي في بناء صرح أمته ونهضته وأن يأخذ منها ليعزز ويقوي أنفسهم، فقد كان محمد العيد إصلاحيا يحرص على استخلاص الدروس والعبر من سيرة صاحب هذه الذكرى والعمل بها للوصول إلى طريق التحرر والعز وهكذا كانت هذه المناسبة في نظرنا ملجأ كل مهموم، مظلوم، فلهذا محمد العيد كان لها محتفيا لتبقى سنة نبينا محمد خير الخليقة قدوة كل الأمة.

---

[1] : محمد العيد آل خليفة، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، مطبعة البعث قسنطينة 1967، ص 1.

الفصل الثالث:

1- الخصائص الفنية في شعر المولديات.

من حيث:

اللغة.

الصورة الشعرية

الموسيقى.

I- اللغة الشعرية:

من أهم القضايا شغلت النقد الحديث في قضية التشكيل في الشعر، إذ يعد الأساس الذي تقوم عليه القصيدة العربي ومن خلال هذا فإن التشكيل في الشعر هو "الأدوات التي يتألف منها المعمار الأدبي"[1].

فالتشكيل هنا لا يخرج عما اصطلح عليه في النقد القديم بالشكل والمضمون أو المبنى والمعنى " وللتشكيل في القصيدة الحديثة وجهان، أحمدهما خارجي والآخر داخلي، فالتشكيل الخارجي يعني بناء القصيدة بناء متلائم الأجزاء... أما التشكيل الداخلي فعناصره متنوعة وعديدة أبرزها عناصر الصورة والموسيقى"[2].

ونحن في هذا الجزء نحاول أن نعرض على أبرز عناصر التشكيل الشعري في قصيدة "ذكرى المولد النبوي" لمحمد العيد آل خليفة المتمثلة في اللغة والصورة الشعرية والموسيقى.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن "محمد العيد" من شعراء العصر الحديث الذين جعلوا من التراث الأدبي العربي القديم مثلهم الأعلى، إذ حافظ على الهيكل القديم للقصيدة العربية، في الشكل الخارجي والموسيقى مع بعض التغيير في المضمون الذي يجب طبعا أن يواكب العصر وقضاياه والذي سنتعرف عليه لاحقا.

اللغة: القصيدة أساسا شكل أدبي مادة التعبير فيه وأداته في اللغة قبل التطرق إلى اللغة الشعرية عند محمد العيد، لا بأس أن تعرض مفهوم اللغة الشعرية بصفة عامة "ذلك لأن اللغة هي البوابة التي يدلف منها إلى عالم النص الرحب، وإن أي فهم له لابد أن يتم بالقراءة الصحيحة لمعجمه"[3].

فإذا كانت اللغة بالمفهوم العام: كما يرى ابن جني "حد اللغة أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[4].

---

[1] : المقالح عبد العزيز: الشعر بين الرؤيا والتشكيل، نقلا عن مذكرة ماجستير.

[2] : الحاوي ابراهيم: حركة النقد الحديث المعاصر في الشعر العربي.

[3] : ابراهيم لقان: ملامح المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة، مذكرة ماجيستير.

[4] : ابن جني: الخصائص، مذكرة ماجيستر ملامح المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة، إعداد الطالب ابراهيم لقان .

أو هي وسيلة وأداة للتعبير أو التواصل فإن اللغة الشعرية كما يعرفها العقاد هي: "التي بنيت على نسق الشعر في أصوله الفنية والموسيقية فهي في جملتها فن منظوم منسق الأوزان والأصوات لا تنفصل عن الشعر في كلام تألفت منه، ولو لم يكن منه كلام الشعراء"[1].

ومن جهة أخرى فإن وظيفة اللغة في الشعر لا تقتصر على المعاني المعجمية فحسب، بل حتى إشارة الأحاسيس والمشاعر لدى المتلقي، وهذه هي الوظيفة الفعلية للغة في التعبير الأدبي.

"وبناء على هذا فإن اللغة تكون إما وسيلة لبلوغ غاية وهي المعنى وإما تكون وسيلة وغاية في حد ذاتها وهذا في العمل الأدبي، ولهذا فهي تقوم بوظيفتين أساسيتين:

إما أن تكون أداة لنقل الحقائق العلمية يراد من خلالها التوصيل والتبليغ، ولكنها إضافة إلى ذلك قد تؤذي وظيفة انفعالية عند التعبير عن العواطف والأحاسيس، وفي هذه الحالة تكون غاية في حد ذاتها يرقى بها أصحابها إلى مترلة فيها مهارة وبراعة، وخصائص جمالية تستروح بها النفوس وتتلذذ بها الآذان"[2].

ونظرا لأهمية اللغة ودورها في الحكم على الشعر بالسلب إيجابا وسلبا، وجب علينا الوقوف على هذا الجانب الفني الهام، لإبراز بعض الخصائص التي تميز شعر محمد العيد.

ومن المعلوم أن شعراء النهضة الجزائرية يميلون إلى استخدام الألفاظ أو التراكيب على النحو الذي درج عليه شعراء العرب القدماء فمحمد العيد قد استطاع بفضل تكوينه العربي الإسلامي أن يملك ناصية اللغة، إذ يعد من الشعراء العصر الحديث الذين استكثروا في التراث الأدبي، واحتذوا به في أساليبه البيانية الرائعة "والعجيب في الأمر أن أغلبية الشعراء في هذه المرحلة لم يستطيعوا استثمار التراث الأدبي والإقتداء به أساليبه البيانية الرائعة...ولا يمكن أن تستثني من هذا الحكم سوى بعض الممتازين مثل محمد العيد"[3].

والواقع أننا في قصيدة "ذكرى المولد النبوي" رأينا أن محمد العيد قد مال إلى استخدام الألفاظ المألوفة لدى القراء على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم التعليمية والثقافية.

ألا انعم أيها النادي بذكرى المولد الهادي

---

[1] : عباس محمود العقاد: الشاعرة.

[2] : ابراهيم لقان: ملامح المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة.

[3] : ناصر محمد: الشعر الجزائي اتجاهاته وخصائصه.

لقد جئناك ورادا على آثار وراد
وقمنا في مسرات وأخراج وأعياد

فلغة الشاعر فصيحة متحررة من الركاكة والتكلف والقيود اللفظية، وعلى الرغم من تأثره بالتراث الأدبي القديم إلا أننا وجدنا كلماته قريبة من القارئ فلا تقف غرابة اللفظ مثلا عجز عثرة تذوقه للقصيدة أو الجزء منها بل العكس، بل العكس هو الذي يحدث، فإن ائتلاف القارئ للكلمات سببا عد على تحقيق الحد الأدنى من التفاعل بالمحتوى وبالشكل التعبيري.

ولعل أهم ظاهرة لغوية بارزة في هذه القصيدة فهي منبع محمد العيد الإسلامي إذ يمد نصوصه بكثير من الاقتباس سواء كان من القرآن أو الحديث الشريف، بحيث نجد أن القصيدة لا تخلو من توظيف كلمة قرآنية أو اقتباس معنى وارد في آية من الآيات.

كريم طبعه سميح كمثل الغصن مياد
من الآثام معصوم إلى الطاعات منقاد

وهنا اقتباس معنوي من الحديث الشريف "أدبني ربي فأحسن تأديبي"[1].

بحيث أحدث الشاعر هنا بعض التحوير الطفيف على العبارة أو الجملة القرآنية المقتبسة، وذلك لتتماشى مع ما تتطلبه الصياغة الشعرية.

نحيي سيدا في الخلق متبوعا بأسياد
نحيي مرشدا لم يبـــ ـــغ منهم أجر إرشاد
نحيي داعني الحسنى نحيي راعي العناد
نحيي المصطفى المختا ر آباء لأجداد
نحيي منه أخلاقا زكيات كأوراد

---

[1] : حديث شريف.

نحيي عصره الممتا ز في يمين واسعا

ونجد الأثر القرآني واضح جليا في القصيدة إذ يقول:

سلوا عن دولة الإســـ لام كم باهت بأجناد
فكم فيهم من الخيل جواد تحت جواد
وكم فيهم من الرجل رجالات كأسياد
وكم سادوا بإحسان وكم جادوا بأرفاد
وكم رددت الدنيا ضداهم أي ترداد

إذا أخذ الشاعر هذه الأبيات من قوله تعالى: "كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر..."[1].

وعموما حين نواجه شعر محمد العيد نجد أنه قلما تخلوا قصيدة له من توظيف كلمة قرآنية، أو اقتباس معنى وارد في آية من الآيات، وما أصعب الأمر عليه أن ينفلت من التأثيرات القرآنية هو كما يقول عنه سعد الله: "أن صلة الشاعر بالدين كانت أقوى من أن تقاوم، وأوضح من أن تكون محل نقاش، وقد تواترت الأخبار عن عارفيه وتلاميذه وأصدقائه، أنه كان تقيا ورعا في مظهره وسلوكه، كما أن ما لدينا من خواطره وأفكاره من رصيده الديني"[2].

إلا أن الجدير بالذكر هنا أنه هناك من عاب على محمد العيد أنه يأخذ اللفظ كما هو في القرن من معنى، مثل: "بري حواس" حيث أنه لم يكن يعنفها تعنيفا أدبيا لتحمل دلالات إيحائية بعيدة عن السياق التي وظف فيه اللفظ في القرآن.

إلا أننا نقول أنه يشفع لشاعرنا أنه جاء في عصر كان الشعب الجزائري فيه في حاجة ماسة إلى الحرية والخبز والأخلاق وذلك بتصحيح مبادئ الإسلام الصحيحة ومحاربة الطرق الصوفية الخاطئة.

أعدوا نشأكم للخيـــ ر فيها خير إعداد

---

[1] : سورة آل عمران، الآية 110.

[2] : سعد الله أبو القاسم: محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 100.

أنط يا شعب من ديـــ نك اطنابا بأوتاد

فالشعب في تلك الفترة ليس بحاجة إلى الشعر بحد ذاته، لذا سخر شعره لهذه الغايات أساسا، فلم يكن الشعر عنده ترفا فكريا فهو "يهدف في أكثر ما يقول إلى غاية دينية واضحة"[1].

وهذا ما يفسر لماذا كان محمد العيد يرقى باللغة في مواضع ويتزل بها في أخرى.

[1] : سعد الله ابو القاسم: محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ص 100.

II-الصورة الشعرية:

لقد حصلت عدة مفاهيم تطورت في المفاهيم الأدبية والنقدية في العصر الحديث ومنها مفهوم الصورة الشعرية، حيث يعرفها "عز الدين إسماعيل" بأنها: "تركيبة عقلية تنتمي في جوهرها إلى عالم الفكرة أكثر من انتمائها إلى عالم الواقع"[1].

وهو تعريف يوحي بأن الصورة الشعرية عملية ذهنية معقدة ويقول الدكتور "أحمد كمال زكي": "الصورة على ما نعرف هي لب الشعر ومناط قدرة الشاعر الفنية، وما يصحبها من عرض تقرير قد يكون ضربا من التفكير الواعي أو شيئا يقتضيه الموقف، ولا سيما إذا كان موضوعيا، ولم يكن عجيبا من أجل ذلك أن يلجأ الشعراء المصورون القدامى -من أمثال أبي تمام- إلى الحكمة الشعرية من حيث كونها تلخيصا لموقف تجميعا لمغزى مجموعة من الصور"[2].

من خلال هذه التعاريف فإن الصورة الشعرية هي الإطار المناسب الذي يكسب فيه الشاعر ما يختلج في نفسه (أعماقه) من أحاسيس وتصورات.

ويتحدد إبداع الصورة بمدى نجاحها في نقل الفكرة أو الشعور ونختم التعاريف بالمفهوم الذي أعطاه عبد الملك مرتاض للصورة "هي شيء ينجح في تقريب حقيقتين متباعدتين"[3].

وعلى الرغم من التطور الذي طرأ على مفهوم الصورة الشعرية فإن شعر الشعراء الجزائريين ومنهم محمد العيد آل خليفة ظل بعيدا عن هذه المفاهيم، ويرجع النقاد ذلك إلى عدة أسباب منها أن ثقافة أغلب الشعراء الجزائريين كانت ثقافة عربية خالصة تستمد جذورها من التراث القديم ومن المدرسة الإحيائية في المشرق والسبب الآخر أن أغلب الشعراء الجزائريين نشئوا في بيئة صحراوية بسيطة تركت أثرها على نفوسهم، فجاءت صورهم أشبه بنفوسهم الواضحة البسيطة التي تتميز بالمباشرة والوضوح.

والسبب الأخير هو النظرة الموضوعية التي سيطرت على مواقف الشعراء الجزائريين، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي دفعتهم إلى تسخير الشعر في سبيل الوظيفة الاجتماعية: "ولقد أدرك هؤلاء الشعراء جيدا

---

[1] : إسماعيل عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط1، دار العودة، بيروت، لبنان، 1981، ص 70-71.

[2] : زكي أحمد كمال: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973، ص 174.

[3] : مرتاض عبد الملك: بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة "أشجان يمانية")، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1991، ص 49.

هذه الوظيفة الاجتماعية للشعر، ومن ثم اعتمد الخيال الشعري لديهم في تجميعه للصور وحشده لها على مراعاة روح الاعتدال والوضوح، وعلى الانصراف إلى التعلق بالمظاهر الواقعية والمكانية وهي كلها أمور حسية"[1].

هذه الظروف هي التي دفعت محمد العيد إلى تبني الوظيفة الاجتماعية للشعر فقد كانت المقاومة هي السمة المسيطرة على شعرهن مقاومة ثقافة الاستعمار، مقاومة الجهل والانحراف والأمراض الاجتماعية الأخرى، ودعوة الشعب إلى النهوض "فلا غرابة إذن وأمام تلك المسؤولية أن تتحول مهمة الشاعر من فنان يخلق الصور ويجري وراء الألفاظ إلى مفكر يرسم الطريق لأبناء أمته"[2].

ولنعرج على مولديات محمد العيد لنرى مقدرته على الإبداع والإبتكار في تشكيل الصورة، وأول ما يمكن قوله في هذا المضمار أن صوره الشعرية لا تخرج من الناحية الشكلية عن الإطار الذي رسمه القدامى، من تشبيهات واستعارات وكنايات...إلخ.

وكانت غايته من ذلك نقل مشاعره ومواقفه نحو ما يعيشه وما يشاهده إلى الشعب الجزائري، ولنتأمل هذا المقطع من قصيدة "هلال ربيع أو ذكرى مولد محمد (ص)[3]

هداك محمد دينا رفيعا فأكرم شهر مولده ربيعا
أجل ما شئت طرفك في هلال بديع وأقرض الشعر البديعا
وهلل فالهلال عليك حان كمثل الأم تحتضن الرضيعا
غرتك لفقد الأغيار حتى أطل عليك فانجابت سريعا
فاشهره على الباغي حساما تذقه بحده السم النقيعا
وعلقه ببابك "قوس نصر" تجد كنفا ساحته منيعا
وضعه على جبينك تاج فخر تعش ملكا بهيبته قريعا

إن الخيال هو الذي ينتج الصور التي تنشر الروعة في الأدب وهو في هذا النص ينتج لنا عدة صور، بحيث جعل محمد العيد من ذكرى مولد الرسول (ص) وفرحة المسلمين بقدومه كمثل فرحة الأم وهي تحتضن رضيعها، ويصوره

---

[1] : الورقي السعيد: لغة الشعر العربي الحديث مقدمتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ص 101.

[2] : الورقي السعيد: المرجع نفسه، ص 102.

[3] : ابن سمينة محمد: العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2003م.

في البيت الرابع، وفي البيت الخامس يشبهه بالحسام يكون كالسم الكفار، وفي البيت السادس يجعله قوس نصير، وفي البيت الأخير يجعله تاج فخر يعيش من اهتدى يهديه مهابا كالملك.

وبما أن التشبيه كان أفضل صورة عند محمد العيد يقرب به الحقائق إلى الإفهام ويوضحها بذكر ما يماثلها، فقد كان أكثر الصور تداولا في شعره الذي تغلب عليه النظرة الواقعية للأشياء ومن الأمثلة على ذلك قوله في قصيدة "تحية المولد النبوي"[1]

ذخر الملم وشفاء المبتلي يسر الفقير شهادة المتشهد
ووسيلة الداعي فال المرتجي ورضى الحزين وسلوة المتفرد
هادي العباد نذير كل مضلل في شركه وبشير كل موحد
المسرج الدنيا بنور كتابه والمستبين صراطه للمهتدي

نلاحظ في هذه الأبيات كثرة التشبيه والمتمثل في التشبيه البليغ حيث شبه الرسول (ص) بأنه أفضل ذخر لمن يدخر، وأفضل شفاء لكل مبتلي، ومن خلاله تستجيب دعوات الداعي والمرتجي وأفضل أنسة للوحيد المتفرد، وأنه المصباح الذي ينير الدنيا بالكتاب الذي أنزل عليه، والواقع أن هذه التشبيهات تغلب عليها اللمسة الواقعية للأشياء – كما ذكرنا- لأن كلما ذكرنا صفات وفضائل الرسول صلى الله عليه وسلم نظل مقصرين ولن نوفه حقه.

ومن التشبيهات والاستعارات والكنايات مايلي:

وأخصبت الأراضي بعد محل بيمن محمد خصبا مريعا[2]
وثم بشائر لو أنى هممت بحصرها لن استطيعا

في هذين البيتين توجد كناية عن صفة وهي بركة الرسول (صلى الله عليه وسلم) على البلاد التي نشأ بها.

وقوله أيضا:

---

[1] : ابن سمينة محمد: العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2003م.

[2] : محمد العيد آل خليفة: الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

فيالك من أمة كانت فباتت كقصر خرَّ منهدماً صديعا[1]

حيث شبه الأمة الإسلامية اليوم وهي في ضعفها هذا بعد أن كان لها مجد كبير بالقصر الذي خر متهدما صديعا.

إننا نجد في شعر محمد العيد كثرت الصور البيانية واختلاف مصادر بنائها فمنها ما شكل من مصدر ديني وهو القرآن الكريم، ومنها ما شكل من عناصر الطبيعة ومنها من نحو الرمز وبما أننا ندرس القصائد المولدية فإنه وبلا شك أغلب الصور إن لم نقل جلها لها مصدر ديني، فمثلا في قوله:

وأما الذكر وهو أجل سفر فمبخوس كيوسف حين بيعا[2]

فهي صورة مأخوذة من قوله تعالى: "وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِين"[3].

وهكذا يتضح لنا من خلال هذا، كيف كان محمد العيد يتواصل مع القرآن بلغته وصورته في معظم شعره يسوق صوره في كل موقف من المواقف الشعورية والنفسية التي تشبهها.

---

(1) : محمد العيد آل خليفة: الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010م.

(2) : محمد العيد آل خليفة، المصدر نفسه..

(3) : سورة يوسف، آية 20.

III- الموسيقى الشعرية:

من المعلوم أن الموسيقى هي عنصر أساسي في القصيدة بواسطتها يتمكن الشاعر من نقل تجربته الشعرية إلى المتلقي لأن في الإنسان زوايا نفسية مطوية لا تستجيب إلا بالموسيقى، ولأن للموسيقى أثر بالغ في النفوس.

وقد كانت دراسة الموسيقى في الشعر القديم تنصب على العناصر الخارجية ممثلة في الوزن (البحر) الناتج عن البيت ذي الشطرين المتساويين المقسم إلى تفعيلات والمنتهي بمقطع صوتي يسمى قافية مختومة بحرف يلتزمه الشاعر من بداية القصيدة إلى نهايتها هو حرف الروي الذي تسمى القصيدة غالبا باسمه مثل: (لامية الشنفرة، سينية البحتري، نونية ابن زيدون).

والملاحظ أنه في النقد القديم الاهتمام بالموسيقى الخارجية دون الداخلية أي بالوزن دون الإيقاع.

الموسيقى الداخلية هي هذه العناصر المذكورة، أما الموسيقى الداخلية فقد اهتم بها كثيرا النقد الحديث – بالإضافة إلى العناصر السابقة، فالموسيقى الداخلية مرتبطة بالحالة الشعورية للشاعر والناتجة عن الإيقاع المترتب عن وسائل متعددة أهمها: "التكرار مثل تكرار كلمات معينة أو متشابهة، أو حروف متحدة المخرج أو متقاربة...إلخ.

وهناك من يرى أن الموسيقى الداخلية ذات جانبين هامين هما اختيار الكلمات وترتيبها والمواءمة بين الكلمات والمعاني التي تدل عليها.

وإذا تم استقراء ديوان محمد العيد آل خليفة في مجال الدراسة العروضية، فإن أول ما يلفت النظر هو محافظته الشديدة على القصيدة العمودية والتزامه القوي بالأوزان التقليدية المعتمدة على القافية المطردة[1]، مع العام أن هذه ميزة معظم معاصريه من الشعراء.

1- الموسيقى الخارجية:

كما سلف القول فإن الشيء اللافت للإنتباه في شعر محمد العيد محافظته على موسيقى القصيدة القديمة الخارجية، فلم نلحظ على شعره تجديدا في بنائه الموسيقي، أو مغايرة لما هو مألوف في شكل القصيدة العربية العامة، إذ حافظ على أوزان الخليل المعروفة، وعلى قافية معينة تلتزم بها سائر أبيات القصيدة على وجه العموم، يقول عبد

---

[1] : تسير على نمط واحد.

الملك مرتاض: "إن العيد ظل يقرض القصيدة على أصولها العمودية المعروفة في الشعر العربي التقليدي في شيء كثير من الاقتناع بالمسعى والاقتدار عليه أيضا"[1].

والملاحظة الثانية هي طول قصائد محمد العيد، ففي قصيدة "ذكرى المولد النبوي" بلغ 70 بيتا على قافية واحدة، وعلى نسج بحر واحد وهو "مجزوء الهزج"، أما بقية القصائد المولدية فهي تتجاوز الخمسين بيتا وأخرى ما بين الثلاثين والأربعون بيتا.

أما البحور المستعملة في هذه القصائد ففي قصيدة "ذكرى المولد النبوي" فقد نظمت على البحر "الهزج".[2]

أَلَا اَنْعِمْ أَبْيُهَا نَادِيْ بِذِكْرَى مَوْلِدِ لْهَادِي

0//0/0//0/0/0// 0/0/0//0/0/0//

مفاعيلن مافعيلن فع مفاعيلن مفاعيلن

مفتاحه: مفاعيلن، مفاعيلن، مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن مفاعيلن.

ب– القافية:

لقد لازمت القافية الشعر منذ القديم فحين عرفوا الشعر قالوا: ((إنه موزون مقفى يدل على معنى"، وقد اهتم بها النقاد، وحثوا الشعراء على ضرورة تخيرها.

والقافية في اللغة هي آخر الشيء، وقال الأخفش القافية آخر كلمة في البيت، أما الخليل بن أحمد فقد حددها في آخر ساكن في البيت إلى أول ساكن يليه مع الحركة التي قبل الساكن"[3].

---

[1] : مرتاض عبد الملك: دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة "ابن ليلاي" لمحمد العيد، ص 34.

[2] : ابن جعفر قدامة: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط3، ص 17.

[3] : أنظر عبد الدايم صابر: موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، ص 152، 153

ومن هذا المنطق اهتم القدماء والمحدثون بمكونات القافية في القصيدة خاصة حرف الروي، والروي: "هو الحرف الذي تبنى عليه القصيدة فتنسب إليه فتقال قصيدة لامية، أو ميمية أو نونية إن كان حرفها الأخير لاما، ميما أو نونا".[1]

وعندما نلاحظ مولديات محمد العيد تبين أن الحروف التي تبنى عليها قصائده هي نفسها التي شاع ورودها في الشعر القديم وهي: "الراء، الذال...إلخ" وذلك كل من قصيدة "ذكرى المولد النبوي" حرف رويها هو "الذال" وكذلك "تحية المولد النبوي"، و"خطك الله للعباد كتابا" حرف رويها هو "الراء".

أما الحروف المتوسطة الاستعمال في الشعر القديم فنجد مثلا حرف "العين" في قصيدة "هلال ربيع أو ذكرى مولده محمد".

أما بالنسبة لنوع القافية في "ذكرى المولد النبوي" فهي قافية مطلقة والمطلقة هي ما كان رويها متحركا فقافية هذه القصيدة هي:

هَادِيْ

0/0/

ومن عيوب القافية نجد الإكفاء: وهو أن يؤتى في بيتين برويمتجانس في المخرج لا في اللفظ إذ نجده في البيت الخامس والسادس (أَسْيَاد) و (ارشاد)

0/0/0/ 0/0/0/

ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن محمد العيد التزم وحدة القافية في جل قصائده.

---

[1] : عبد الدايم صابر: موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، ص 195.

2- الموسيقى الداخلية:

إذا كانت الموسيقى الخارجية ممثلة في الوزن والقافية هي التي تحدد اتجاه الشاعر الفني في احتذاء القديم، ونهج سبل من ساروا عليه فإن الموسيقى الداخلية هي التي: "تعكس شخصية الشاعر في داخل العمل الفني، وفي سر تفوقه أو إخفاقه في تعامله مع اللغة داخل الإطار الخارجي"[1].

والموسيقى الداخلية ذات جانبين مهمين:

فالجانب الأول هو اختيار الكلمات وترتيبها، حيث ينتقي الشاعر الحسن من اللفظ ويطرح المستهجن منه، ويدخل في هذا الجانب أنماط متعددة من الموسيقى الداخلية تظهر في التصريع، والجناس، والطباق،...إلخ.

أما النوع الثاني فيعني اختيار الشاعر الكلمات التي تناسب موضوعه الشعري، فيختار للحماسة الألفاظ القوية، وللغزل الألفاظ الرقيقة ..إلخ.

أ- **التصريع:** إن أبرز مظهر للموسيقى الداخلية عند محمد العيد هو التصريح وهو عند علماء العروض "إلحاق العروض بالضرب وزنا وتقفية سواء بزيادة أو نقصان"[2]، وقد حرص عليه الشعراء قديما لدرجة أن جاءت جل المعلقات مصرعة.

وقد أدرك محمد العيد قيمة التصريع فاهتم بتجويد مطالع قصائده لأن ذلك أول ما يقرع السمع، فيجد طريقة إلى النفس.

ونتناول للنموذج من شعر محمد العيد لنتبين دور التصريع في التأشير على السامع وجلب الانتباه إلى القصيدة، ففي قصيدة (ذكرى المولد النبوي) يقول:

ألا أنعم أيها النادي بذكرى مولد الهادي
لقد جئناك ورادا على آثار وراد
وقمنا في مسرات وأفراح وأعياد
نحيي خير مولود بدا في خير ميلاد

---

(1) : بري حواس: شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص 288.

(2) : عبد الدائم صابر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور، ص 49.

فبالإضافة إلى الاتفاق الحاصل بين نهايتي شطري البيت الأول (النادي – الهادي) تنبعث نغمة موسيقية من تكرار حروف معينة في النص كحرف "الراء" الذي لم يخلو منه بيت، ويوحي بالفخر واعتزاز الشاعر وفرحته بحلول ذكرى المولد النبوي.ثم تتابع حروف المد في الأسماء (النادي – الهادي ورادا – آثار – وراد – مسرات – أفراح – أعياد) مما أضحى على النص طابع القوة وهي تعبر عن انفعالات الشاعر.

ولقد كان لهذا الحدث أثر مهم في نفسية الشاعر إذ اهتدى إلى الألفاظ التي لها دلالة على فرحه وسروره مثل (أنعم – مسرات – أفراح – أعياد – نحيي خير).

ولنتأمل النموذج التالي في قصيدة "هلال أو ذكرى مولد محمد (ص)":

هداك محمد دينا رفيعا فأكرم شهر مولده "ربيعا"

وقوله أيضا في قصيدة "تحية المولد النبوي":

قم فاحتفل واعقد شهر المولد ذكر التاج الأنبياء "محمد"

فنظرا لأهمية هذا الحدث فقد مهد له بالتصريع (رفيعا – ربيعا) وفي القصيدة الثانية (المولد – محمد).

وما يمكننا استنتاجه ف هذا العنصر أن معظم القصائد المصرعة هي النصوص الطويلة والمتوسطة، ولا شك أن اعتماد الشاعر على التصريع له علاقة باتجاهه الكلاسيكي، والتزامه في شعره بكل المقاييس التي وضعها النقاد القدامى للشعر (وحدة البحر، وحدة القافية، وحدة البناء في شكل عمودي).

ب– الجناس:

الجناس من طرق تحسيس النظم، وقد عرفه ابن المعتز بقوله "التجنيس أن تجئ الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها"[1].

والجناس ينقسم إلى قسمين تام، وغير تام، فالجناس التام هو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي: "أنواع الحروف وأعدادها، وترتيبها وشكلها، والجناس الناقص وهو مت اختلف فيه اللفظان في أحد الأمور الأربعة السابقة"[2].

إلا أننا لاحظنا من خلال قصائد محمد العيد أنه لم يسرف في استعمال تلك التحسينات اللفظية.

ومن الأمثلة على ذلك قول محمد العيد في قصيدة (ذكرى المولد النبوي):

لقد جئناك ورَّادًا على آثار ورّادِ

فالجناس قائم بين لفظتي (ورّادًا) من الورود، و (ورّاد).

ج– التكرار:

من الظواهر التي برزت في شعر كثير من الشعراء ومنهم محمد العيد آل خليفة، ظاهرة التكرار، وهي تعني تكرار بعض الحروف او الكلمات أو العبارات في القصيدة بدافع معين، أو إظهار نزعة معينة كالفرح والحزن، أو الرضى والسخط، أو لغرض التنبيه إلى قضية أو فكرة لتثبيتها في نفوس المتلقين، أو الإلحاح على فكرة معينة في القصيدة أكثر من غيرها.

وإذا تأملنا شعر محمد العيد فإن التكرار فيه من السمات البارزة والأمثلة في شعره كثيرة نذكر منها في قصيدة "ذكرى مولد النبوي" حيث أن التكرار بارز فيها بشكل جلي:

---

[1] : ابن المعتز: كتاب البديع، نقلا عن عتيق عبد العزيز، علم البديع، ص 195.

[2] : ابن المعتز: المرجع نفسه، ص195.

نحي خير مولود بدا في خير ميلاد

نحي سيداتي الخلـــــــــق متبوعا بأسياد

نحي مرشدا العريبـــــغ منهم أجر إرشاد

نحي داعي الحسنى نحيِّ راعيَّ الضاد

نحي المصطفى المختا ر آباءًا لأجداد

فقد كرر فعل (نحي) خمس مرات للدلالة على عظمة النبي محمد عليه الصلاة والسلام، كان هذا التكرار في القصيدة في القصيدة كلازمة نغمية (موسيقية) حاول أن يضبط على أساسها مشاعر السامعين.

خاتمـــــــــــــــة

خاتمة:

شعر المولديات لون أدبي جديد تناول بالدراسة القصائد التي قيلت أثناء الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، فكان مناسبة القول والنظم بالنسبة للشعراء الذين برزوا في هذا المجال فراحوا يعبرون عن عواطفهم الدينية الصادقة تجاه الرسول صلى الله عليه وسلم، مما ينم عن معرفتهم الدقيقة الواعية للسيرة النبوية في مختلف أطوارها مع التركيز بصفة خاصة على طور البعثة وما صاحبها بمعجزات خص الله رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

وقد أصبح شعر المولديات متداولا بكثرة وله صدى كبير للشخصية المحورية التي يدور حولها، ألا وهي خلق الله محمد صلى الله عليه وسلم.

و محمد العيد آل خليفة من الذين كانوا قد سخروا قواهم المعنوية للمقاومة بكل أشكالها ، فعلى الرغم من المناسبة التي تميز بها شعره والتي كانت مصدر استلهامه للمعاني، فإنه خلا من النزعة الذاتية التي تطبع شعر المناسبات، فكان ملتزما بقضايا الوطن والشعب، و لم يعش لنفسه فعاش عالما أوسع، عصره، جيله، أمته، عاش هموم الجميع وعبر عنها بصدق.

ولقد استخلصنا أن محمد العيد عاش ليبقي الهوية والتي كان الدين أساسها فما كان سوى محمد خير الخليقة رمزا لهذا الدين ألا وهو الإسلام.

كما تميز محمد العيد بفصاحة اللغة وقوة بيانها، بالرغم من كون شعره جاء في مرحلة سنحت فيها الثقافة العربية أو كادت، حسن السبك، حيث جار كبار شعراء العصر العباسي وقد رأى الشاعر في ذلك تمسكا بالأصالة وشكلا من أشكال المقاومة للثقافة الغازية.

وقد تميز أيصا بنوع من التسامي الروحي، فتجلى ذلك في أسلوبه التعبيري، فاتخذ من القرآن منهلا عذبا، ينهل منه الألفاظ والمعاني والصور البيانية التي لم تكن في الغالب تخرج عن المفهوم القديم الذي يحصرها في التشبيه والاستعارة، والكناية وسائر أضرب المجاز.

أما عن الوزن والموسيقى في شعر محمد العيد، فقد رأى في مرحلة الشعر العمودي ضرورة للفترة التي يمر بها المجتمع الجزائري، وهي تعني الثبات أمام رياح التغريب فاتخذ من العروض الخليلي مرجعية لدرجة أن أشهر البحور التي نسج الشاعر على منوالها هي نفسها البحور التي ورد على أوزانها معظم الشعر القديم والأمر نفسه ينطبق على القوانين.

ونختم بحثنا حامدين الله وشاكرين له على ما يسره لنا من أسباب سهلت علينا معالجة هذا البحث فنسأله الهداية والتوفيق، فإن كنا قد وفقنا فذلك ما نرجو، وإن كنا قد أخطأنا فنسأل الله التوجيه والرشاد والله وراء القصد والحمد لله في البدء والختام.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

الحديث النبوي.

أولا: الكتب والمؤلفات:

1- ابن رشيق القيرواني: تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل، سنة 1981.

2- ابن خلوف وديوانه جنى الجنتين في مدح خير الفرقتين، المعروف بديوان الإسلام، ت العربي دحو، منشورات الكتاب الجزائريين، د ط.

3- ابن عمار: رحلة ابن عمار، د ط، د ت.

4- ابن منظور: لسان العرب، دار صاد، بيروت، ط سنة 1990.

5- ابن هشام: السيرة، ج1.

6- ابن سمينة محمد: العيديات المجهولة، تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2003.

7- أبو هلال العسكري: الصناعتين، تحقيق علي محمد مجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم وعيسى البابي الحلبي وشركاؤه، سنة 1979.

8- الأدبية التنسي: نظم الذر والعقبان، تحقيق محمود بوعياد، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.

9- الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط2، منشورات دار المككتبة الحياة، بيروت، مكتبة الشركة الجزائرية.

10- الزمخشري (محمد بن عمر): أساس البلاغة، ت: عبد الرحيم محمود، طبع بدار المعرفة، د ط، د ت.

11- الزاهري محمد الهادي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، الجزء 1، ط 1، المطبعة التونسية، تونس، 1962م.

12- إسماعيل عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط 4، دار العودة، بيروت، لبنان، 1981م.

13- العزفي في الدار المنظم مخطوط الأسكوريال.

14- العمدة: في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الجزء 1، ط5، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، لبنان، 1981.

15- النابغة الذبياني: ديوان النابغة، مطبعة الهلال، الفجالة، مصر، 1911.

16- جبور عبد النور: المعجم الأدبي، ط دار العلم الملايين، بيروت، ط2، 1984.

17- حازم القرطاجني: مناهج البلغاء وسراج الأدباء، د ط، د ت.

18- عبد الله شريط: تاريخ الثقافة والأدب في المشرق والمغرب، في المؤسسة الوطنية للكتاب، رقم النشر 1419، 83 الجزائر 1983.

19- د. عبد الله حمادي: دراسات في الأدب المغربي القديم، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر.

20- عبد الحميد حاجيات: أبو حمو موسى الزياني: حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

21- عبد الدايم صابر: موسيقى الشعر بين الثبات والتطور، د ط، د ت.

22- عميد كلية دار العلوم سابقا، 1406هـ-1985م، فواز الشعار: الشعراء العرب، ج2، إشراف جميل يعقوب، دار الجيل، بيروت.

23- علي الجندي: نفح الأزهار في مولد المختار، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، 1980م.

24- قاسم الحسين: الشعر الأندلسي في ق 9 هـ (موضوعاته وخصائصه)، الدار العالمية للكتاب، الدرا البيضاء، المغرب، والدار العالمية للطباعة والنشر، لبنان، بيروت، ط1، 1986م.

25- قدامة ابن جعفر: نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الغانجي، القاهرة، ط3.

26- محمد الصادق: عفيفي الطاهر توات في الأدب المغربي.

27- محمد ناصف: الصورة الأدبية.

28- هشام بوحمزة: ديوان شهاب الدين ابن خلوف، الدر العربية للكتاب.

29- مؤلف مجهول: أخبار العصر في انقضاء بني نصر.

30- محمد العيد آل خليفة: الديوان، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، 2010.

31- ابن تيمية محمد: العيديات المجهولة (تكملة ديوان محمد العيد آل خليفة)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2003.

32- الزهراني محمد الهادي: شعراء الجزائر في العصر الحاضر، ج1، ط1.

33- اسماعيل عز الدين: التفسير النفسي للأدب، ط4، دار العودة، بيروت، لبنان، 1985م.

34- زكي أحمد كمال: النقد الأدبي الحديث، أصوله واتجاهاته، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1973م.

35- سعد الله أبو القاسم: محمد العيد آل خليفة رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، ط2، دار المعارف بمصر، 1968م.

36- مرتاض عبد الملك: أدبية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة (أشجان يمانية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1991م.

37- ناصر محمد: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1985م.

38- المقالح (عبد العزيز): الشعر بين الرؤيا والتشكيل، ط2، دار طلاس لدراسات والنشر، دمشق، 1985.

39- الورقي سعيد: لغة الشعر العربي الحديث، مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، ط3، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1984.

الأطروحات والرسائل:

1- الصورة البيانية في المدحة النبوية عند حسان بن ثابت الأنصاري: رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إعداد أحمد قبائلي، إشراف د. الربيعي بن سلامة.

2- بناء القصيدة المولدية: رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير، إعداد محمد زلاقي، بحث مقدم لنيل درجة دكتوراه الدولة في الأدب القديم لإشراف الأستاذ الدكتور الربعي بن سلامة، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2005-2006.

3- بناء قصيدة المديح عند ابن هاني الأندلسي: بحث مقدم لنيل شهادة ماجستير في الأدب، إعداد الطالب فاتح جميلي تحت إشراف د. الربعي بن سلامة.

4- الحياة الأدبية في تلمسان في القرن الثامن هجري: أحمد عبد القادر قريش إشراف الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة، رسالة ماجستير 1408هـ- 1985م.

5- ملامح المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة: مذكرة ماجستير إعداد الطالب ابراهيم لقان لإشراف محمد العيد تاورتة، قسنطينة.

الجرائد والمجلات:

1- جريدة البصائر، العدد 577، 2011/11/5.

2- ذكرى المولد النبوي خلاصة السيرة النبوية وحقيقة الدعوة الإسلامية كليات الدين وحكم وتأليف السيد محمد رشيد رضا متشى، مجلة المنار والناظر، دار الدعوة والإرشادات نشرت في المجلة ع 19 من مجلة المنار بمصر، ط1.

3- رسالة المسجد، السنة السادسة، ربيع الأول، 1429هـ، مارس 2008م، صادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.

الفهرس

مقدمة.....أ

مدخل.....**01**

الفصل الأول:

3- استجابة الشعراء لظاهرة الاحتفال بالمولد.....**12**

4- الموازنة بين قصيدة المديح النبوي والمدح.....**24**

الشكل.....**27**

الموسيقى.....**28**

المضمون.....**28**

الفصل الثاني:

4- التعريف بالشاعر محمد العيد آل خليفة **30**

5- الشعر الديني عند محمد العيد واهم موضوعاته.....**35**

6- المولديات في شعر محمد العيد.....**42**

الفصل الثالث:

2- الخصائص الفنية في شعر المولديات:

اللغة.....**53**

الصورة الشعرية.....**58**

الموسيقى.....**62**

خاتمة.

قائمة المصادر والمراجع.